نساء حول الأنبياء

لمياء شومان

دار البشير
للثقافة والعلوم

اســم الكتـــاب: نساء حول الأنبياء
التــأليـــــف: لمياء شومان
عــدد الصفحـات : 224
عــدد المـــلازم : 14
مقاس الكتــاب : 17 × 24
عــدد الطبعــات : الطبعة الأولي
الإيداع القانوني : 2014/2088
الترقيم الدولــي : I.S.B.N.978/977/278/440 /0
الصـف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية

التوزيـع والنشـر
دار البشير للثقافة والعلوم
مصر
darelbasheeralla@gmail.com
darelbasheer@hotmail.com
ت : 01062836461- 01067467492

1435 هـ
2014 م

نساء حول الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين وخاتم الأنبياء أجمعين الذين أرسلهم الله تعالىٰ رحمة للعالمين، وجعل لهم أزواجًا وذرية وأمهات وأخوات..

فهذا الكتاب يتحدث عن نساء عشن في عصور الأنبياء وأثرن فيهم وفي مجتمعاتهن، إما تأثيرًا محمودًا يحسب لهن ويرفع من درجاتهن.. وإما تأثيرًا مذمومًا يحسب عليهن ويجعلهن وبالًا علىٰ المجتمعات، ونقطًا سوداء في تاريخها. فالنساء شقائق الرجال يحملن مسئولية الأمانة الكبرىٰ معهم ويحاسبن عليها كما يحاسبون.

وأردت في هذا الكتاب إبراز وتوضيح عدة أفكار أهمها:-

1- بشرية النساء والتنوع في عقولهن وعواطفهن وشخصياتهن ودرجات إيمانهن.. مما يوضح سوء الفكرة العنصرية التي تتعامل مع المرأة علىٰ أنها كيان واحد لا يتجزأ، وهذه فكرة خاطئة غربية وغريبة علىٰ فطرتنا..

فالمرأة ليست شرًّا محضًا أو سفيهة العقل وضعيفة الرأي كما يحلو للبعض أن يصفها بذلك ولا هي خير محض وقع عليه ظلم شديد ويحتم علينا أن نرفع من شأنه ونفرض تميزه بالقوة، سواء بوجه حق أو بغير وجه حق كما يحلو للبعض الآخر.

2- عرض نماذج طيبة من النساء اللاتي نقتدي بهن ونماذج سيئة من النساء اللاتي يجب تجنب طريقهن.

3- عرض بعض المواقف والأحداث والمشكلات التي حدثت علىٰ مر التاريخ، والتي تتشابه مع أحداث عصرنا الحديث والإفادة منها.

4- إعلاء شأن مؤسسة الأسرة ودورها في تقدم المجتمع ورقيه وازدهاره في كل عصر.

فنرىٰ في هذا الكتاب الحياة الزوجية في حياة الأنبياء، نرىٰ نماذج الوفاء والصبر في شخصية ناعسة امرأة أيوب عليه السلام ، ونرىٰ الزوجة المثالية والتي تسعد من يحظىٰ بها في شخص (**رعلة**) امرأة اسماعيل..

نرىٰ الوفاء والحب والحنان والدفء في خديجة رضي الله عنها سيدة نساء أهل الجنة، كذا في أم سلمة..

إذا أردنا أن نعرف العُرس الرباني نقتدي به في أعراسنا وأفراحنا، ونعرف قدر طهارة الفتاة وعفتها إذا تأخر زواجها، فلنقرأ عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، لنتعرف علىٰ صفورا امرأة موسىٰ عليه السلام ومريم ابنة عمران.

إذا أردنا أن نشاهد الأمومة بفطرتها وطبيعتها فلتتجسد أمامنا في شخصية أم موسىٰ وأم أيمن وامرأة عمران.

إذا أردنا أن يسمو بيت العائلة في مجتمعنا، ونعني برعاية الصغير وكفالته في أحضان بيوتنا فلنقرأ عن الحماة الطيبة فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ، ولنتعرف علىٰ أمامة بنت أبي العاص وأشياع امرأة زكريا.

إذا أحببنا أن نشعر بالإيمان عاليًا ساميًا يثمر جلدًا وصبراً وثباتًا فلنتعرف علىٰ آسية بنت مزاحم – وهاجر المصرية، ودرة بنت أبي لهب، وسارة بنت هاران.

كذا نعرف الشر لنبتعد عنه والذي يتجسد في فراغ المرأة وتفاهتها عندما ندرس شخصية امرأة العزيز، وشخصية المرأة الإمعة امرأة نوح، كذا امرأة لوط عجوز السوء.

وإذا اتهمنا أحد بازدراء المرأة وحصر دورها علىٰ الأمومة والزوجية فقط وإغفال طاقاتها وكفاءتها في القيادة، وتفوقها في مسارات الحياة، فليذهب ليتعرف علىٰ بلقيس ذات الملك الأريبة – والشفاء بنت عبد الله الطبيبة النفسية، وصفية بنت عبد المطلب الشجاعة القوية، وهند بنت عتبة القيادية في الجاهلية والإسلام.

وسوف نقوم بتسليط الضوء علىٰ الصفات التي يستفيد منها نساء العصر في ملامح شخصيات نساء حول الأنبياء. كذا علىٰ المواقف التي لها دلالات هامة في وقتنا المعاصر.

ونرجو من الله تعالىٰ أن يجعله في ميزان الحسنات إن شاء الله.

والله الموفق،،

لمياء شومان

حــواء

(أول عـروس على وجـه الأرض)

حواء

(أول عروس على وجه الأرض)

خلق الله تعالىٰ آدم من تراب، ثم خلق منه حواء وهو نائم، فقد قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف:189].

فالسبب الرئيسي لخلق حواء هو السكن إلىٰ آدم، فهي جزء منه، والجزء دائمًا يئوب إلىٰ الكل، والكل يشتاق إلىٰ الجزء.

وقد رُكِّب في فطرة الإنسان أن يحب من هو جزء منه.

- خُلقت حواء من آدم وهو نائم حتىٰ لا يتألم، فإن الرجل إذا تألم كره، وهذه هي طبيعتة.

والمرأة إذا تألمت أحبت، فعندما تتألم أثناء حملها لولدها وولادتها له، فهذا يدعوها إلىٰ حب أبنائها والحفاظ عليهم.

خلق حواء:

خُلقت حواء من الضلع الأعوج من أضلاع القفص الصدري لآدم، وقد أثبت الطب الحديث أنه لولا ذلك الضلع في جسم الإنسان لكانت أخف ضربة علىٰ القلب سببت نزيفًا، فخلق الله ذلك الضلع ليحمي القلب، ثم جعله أعوج ليحمي القلب من الجهة الثانية، فهو أعوج ليقوم بمهمته، ولولا اعوجاجه لسقط القلب في الأحشاء، فاعوجاجه قمة الاستقامة، واعوجاجه هو ما يميزه عن غيره.

وعلىٰ آدم ألا يحاول إصلاح هذا الاعوجاج؛ لأنه إن فعل ذلك كسره وأفسده وأذهب فائدته.

قال رسول الله ﷺ....**(استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خُلِقت من ضلع أعوج، وإن أعوج شئ في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركتهُ لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيرًا)**(1).

(1) البخاري في صحيحه (4890)، باب الوصاة بالنساء، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وحواء هي التي تحيط بقلب آدم وتحميه، وهي التي تحتويه وتمدهُ بالعاطفةِ حتىٰ يسكن ويهدأ، فهناك نقص في الرجل لا تتمهُ إلا المرأة.

من نفس واحدة:

فهما متساويان في أغلب السمات مثل.

1 – **التكليف**: قال تعالىٰ: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف:19] .

2 – **المسئولية**: فقد أخطآ معًا، وكلاهما ناداه ربه، وتابا سويًا لرب العالمين.

فلا يصح ما يذكره البعض من أن حواء هي السبب في الخطيئة، والله تعالىٰ يقول.... ﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا ﴾ [الأعراف:20] ، وقد هبطا سويًا إلىٰ الأرض من الجنة وتشاركا في تعمير الأرض بعد أن خاضا التجربة معًا وعرفا عدوهما سويًا.

العدو الحقيقي:

بعد أن أدرك آدم وحواء طبيعة عدوهما وطريقة وسوسته أخذا حذرهما منه في حياتهما الدنيا، فمهمة الشيطان الأولىٰ والرئيسية أن يبث الكراهية بين الزوجين ويوقع بينهما العداوة والبغضاء، والله تعالىٰ يذكرهما في كل لحظةٍ أنهما من نفس واحدة.

مساواة في التشريف:

وراء كل عظيم امرأة، فهي شريكته في التشريف عندما فتح النبي ﷺ مكة أين ينام؟ ما من بيت إلاّ وتمنىٰ أن يكون بيتًا لرسول الله ﷺ ولكنه ماذا فعل؟ -تروي السيرة أن النبي ﷺ قال: (**انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة**) وركز راية النصر عند قبرها ليشعر الناس أن هذا الفتح المبين لها منه نصيب، فهي سنده من الداخل.

الزواج آية الله في الأرض:

يقول تعالىٰ: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً ﴾ [الروم:21] فآدم وحواء متساويان في أغلب السمات ومختلفان في بعضها، ولكن هذا الاختلاف فيه تكامل في التركيب الفسيولوجي للجسم، وتكامل في الجزء المعنوي من حيث العقل، والعاطفة تسكن إلىٰ قوته

ليحميها وهو يسكن إلىٰ عاطفتها؛ لأنه بحاجة إليها. وهذه آية ومنّة من الله عز وجل علىٰ آدم، فهو يسكن إلىٰ إنسان مثله.

طرفة:

يقول أحد العلماء: إذا استيقظ الرجل من نومه فوجد زوجته بجواره فليحمد الله تعالىٰ أنها إنسان يلاطفها وتلاطفه ويكلمها وتكلمه، وليست ضبعًا أو خلقًا آخر.

*إذا أدرك الإنسان آية الله في منحة الزواج أنزل الله في قلبه المودة والرحمة، وتغلب كل زوج وزوجة علىٰ مواجهة مشكلات الحياة.

قوامة آدم:

لأن حواء جزء من آدم، فمن الطبيعي أن حواء تكون تابعة له وهو المسئول عنها والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:117] فهو الذي يشقىٰ في تحصيل الرزق وتحمل أعباء الحياة بالدرجة الأولىٰ، وعليه إكرام حواء وصونها.

يقول النبي ﷺ: (**أكرموا النساء، فوالله ما أكرمهن إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم، وأنا أحب أن أكون كريمًا مغلوبًا من أن أكون لئيمًا غالبًا**) [1].

حواء والطاعة:

هذه المسئولية من آدم يقابلها الطاعه من حواء والانقياد عن حب ورغبة لا عن قسر وإرغام.

ملامح الشخصية:

* الفطرة السليمة كما خلقها الله تعالىٰ والتي لم تتلوث بعد بأي موروثات بشرية مضللة؛ تبدو جلية في شخص حواء.
* تبدو فيها أيضًا السمات الأصيلة للمرأة في احتوائها لزوجها، وإظهار حبها له، وضعفها، واحتياجها إليه بكل بساطة ويسر.

خواطر وعبر:

1- حواء واحتواؤها لقلب آدم ، يجسد الصورة الحقيقية للزوجة الصالحة؛ والتي لم يفسد فطرتها المفسدون؛ فسعة الصدر ولين الجانب هما الطابع الأصيل للمرأة ، وما عدا ذلك هو انحراف عن الفطرة.

---

(1) أخرجه ابن عساكر (13/ 312).

2– مساواة المرأة بالرجل في التكليف والمسئولية والتشريف منذ بدء الخليقة.

3– اختلاف آدم وحواء اختلاف تكامل لا تنافر.

4– لم توجد عداوة ولا صراع في يوم من الأيام بين جنس الرجل وجنس المرأة؛ إلا عندما يستشرىٰ الجهل والتخلف في مجتمع توارت أفكاره عن الفطرة السوية.

5– الزواج نعمة الله علىٰ البشر ، وآية من آياته نحمد الله تعالىٰ عليها.

6– قوامة الرجل أصل في تكوينه ينبغىٰ أن تروىٰ بذرته منذ الصغر.

7– طاعة المرأة لزوجها في غير معصية لله؛ لا ينتقص من مكانتها وقيمتها .

✻ ✻ ✻

والغة

امرأة نــوح

(المرأة الإمعة)

والغة (امرأة نوح)

(المرأة الإمعة)

يروي القرآن الكريم قصة نوح - عليه السلام - مع قومه، ويعرض لنا مسيرته الطويلة والشاقة معهم التي استمرت ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:14] كان خلالها يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، صابرًا علىٰ ما كان يلقاه منهم من الأذىٰ والإعراض والنفور، وكانت النتيجة أن آمن به البعض من ضعفاء الناس وعاداه أكابرهم؛ أما أقرب الناس إليه زوجته التي من المفترض أن تكون ممّن يشدون أزره، ومن الداعمين له علىٰ المُضي قُدُمًا في إبلاغ ما أمره به ربه، فلقد اختارت السير في ركاب قومها.

ذكرها في القرآن:

وقد ذكرها القرآن مع امرأة لوط ووصفهما بالخيانة.

قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم:10] .

و«**الخيانة**» في قوله تعالىٰ ليس المقصود بها الخيانة الزوجية الجسدية، وإنما هي الخيانة الأدبية وبتر علاقات التواد والتراحم بين الزوجين بالنفاق والكفر في الدين وفي العقيدة، ذكر المفسرون - ومنهم القرطبي وابن كثير رحمهما الله تعالىٰ- أن امرأة نوح تدعىٰ «واغلة» وقيل: «**والغة**»، وقد أوصلها إعراضها عن الحق حدًا جعلها تشيع عن زوجها نوح - عليه السلام - أنه مجنون، ذكر القرطبي في تفسيره أنها قالت له ذات مرة: يا نوح أما ينصرك ربك؟ فقال لها: نعم، فقالت باستهزاء: فمتىٰ؟ قال: إذا فار التنور... فخرجت تقول لقومها: يا قوم: والله إنه لمجنون، يزعم أنه لا ينصره ربه إلا أن يفور هذا التنور(1).

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي 9/ 42.

ولم تكتفِ بذلك بل وصل بها الأمر أنه إذا آمن أحد بدعوته سارعت إلىٰ قومها وأخبرتهم ليفتنوه عن دينه.

نهاية امرأة نوح:

أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه نوحًا بصنع السفينة، وكان جبريل - عليه السلام - يعلم نوحًا - عليه السلام - كيفية صنع السفينة، وكان قوم نوح وامرأته كلما مروا عليه وهو يصنع السفينة سخروا وضحكوا منه، وكانوا يقولون له: أتركت عبادة إلهك، وأصبحت نجارًا تصنع الأخشاب؟

وعندما اكتمل صنع السفينة أمر الله عز وجل نوحًا - عليه السلام - بأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين من الطيور والحيوانات، وأوحىٰ الله تعالىٰ إليه أن امرأته من الغابرين يقول تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾ [هود:40].

وهلكت امرأة نوح وابنها غرقا مع قومهما.

ملامح الشخصية:

والمتأمل في قصة هذه المرأة يجد أنها:

1. كانت مثالًا للمرأة الإمّعة، فقد فضّلت اتّباع ما كان عليه قومها من عبادة الأصنام وتعظيمها علىٰ أن تستجيب لدعوة نوح - عليه السلام - الذي لم يؤمن به إلا فقراء الناس وضعفاؤهم.
2. كما كانت نموذجًا للأم السيئة؛ لأنها بكفرها أثرت سلبًا علىٰ موقف ابنها (**ريام**) أو (**كنعان**) كما يسميه أهل الكتاب، الذي كان خاضعًا لتربيتها المنحرفة، ومتأثرًا بأجواء بيئته الكافرة التي كثرت فيها المعاصي، فكان نصيبه الموت غرقًا في الدنيا وعذابًا في الآخرة.
3. بالإضافة إلىٰ ذلك كانت «واغلة» مثالًا للمرأة التي تهاونت بحقوق زوجها عليها عندما آثرت تقديم فروض الطاعة والاحترام والولاء لأكابر قومها ومجرميهم بدلًا من زوجها الذي استخفت به وبدعوته.

خواطر وعبر:

وفي قصة امرأة نوح - عليه السلام - مع زوجها نستخلص العديد من العبر منها:

1. أن الله سبحانه وتعالىٰ قد يبتلي المؤمن بزوجة -والعكس صحيح- تحاول أن تضغط عليه لتبعده عن جادة الإيمان؛ لذلك فإن الثبات علىٰ الحق وقوة العزيمة ومضاءها الأسلحة الناجعة لمواجهة مثل هذا الموقف.
2. أن للمرأة دورًا مؤثرًا علىٰ مسيرة زوجها الدعوية؛ لذلك فإن ضعف قناعتها بأمر دعوته محزن لقلبه، موهن له كثيرًا، فواغلة علىٰ سبيل المثال بدلًا من أن تشجّع وترغّب قومها بدعوة زوجها نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وتكافح وتنافح عنه وعن دعوته إذا دعت الضرورة، أضحت بتقليدها الأعمىٰ أداة للتنفير والتشويه.
3. أن التفاضل بين الناس لا يقوم علىٰ أساس النسب والمستوىٰ الاجتماعي؛ بل يقوم علىٰ أساس الدين والعقيدة، وقصة نوح مع زوجه وابنه وقومه خير شاهد علىٰ ذلك.
4. من المهم أن يختار الرجل الزوجة ذات الدين كما بيّن الرسول ﷺ في الحديث الشريف الذي يقول فيه: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**»؛ فالزوجة الصالحة هي صمّام الأمان الذي يحول دون جنوح الأبناء وسقوطهم في مهاوي المعاصي.
5. إن دور المرأة لا يقتصر علىٰ العناية بالمنزل والزوج والأولاد، بل لها دور دعوي هام خارج بيتها، فهي عامل تأثير إمّا إيجابي أو سلبي علىٰ المحيطين بها.
6. إن الصراع بين الحق والباطل قائم إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها، واللافت أن الأساليب التي استخدمت لإسكات أصوات الأنبياء سابقًا ما زالت هي نفسها التي تمارس بحقّ المسلمين اليوم من إطلاق التهم والدعاوىٰ الباطلة منها الجنون ﴿فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ﴾ [القمر:9] والتي استبدلت حيث استبدلوا بها (**الإرهاب**) أو اتباع أساليب التخويف والأذىٰ الجسدي والنفسي ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾ [الشعراء:116]، والتي غالبًا ما تصدر من أقرب الناس إليهم، والذين هم من أبناء جلدتهم ولغتهم.

7- إن مما دفع زوجة نوح وعوام قومها للابتعاد عن الحق هو تأثرهم بالطواغيت وأكابر القوم وحكامهم ومجرميهم الذين يسمون في كتاب الله بـ«**الملأ**»، فهؤلاء لم يتورعوا عن استخدام الأساليب المغرية الماكرة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾ [نوح:22] للتأثير في القاعدة العريضة من الناس معتمدين علىٰ قوىٰ ثلاث: السلطة والمال والقوة الإعلامية والدعائية.

سارة بنت هاران

(صاحبة بشرى الملائكة)

سارة بنت هاران

(صاحبة بشرى الملائكة)

من هي سارة؟

هي سارة بنت هاران ابنة عم إبراهيم الخليل عليه السلام ، امرأة كانت في غايه الجمال فكانت من أجمل النساء علىٰ الأرض بعد حواء نقية السريرة طيبة القلب، كانت مطيعة لزوجها صابرة معه علىٰ ما يلقاه من الأذىٰ، آمنت بنبي الله إبراهيم وصدقته عندما كذبه الناس، كانت له نعم السند ونعم النصير فتزوجها إبراهيم عليه السلام إكرامًا لها وتقديرًا لجهادها معه في الدعوة إلىٰ عبادة الواحد الأحد، وكان يحبها حبًا شديدًا، وكانت بجواره منذ البداية تسانده وتؤازره .

كرامات الكرماء:

روىٰ عبدالرزاق عن زيد بن أسلم: أن النمرود كان عنده طعام، وكان الناس يفدون إليه للميرة (**الزاد**) فوفد إبراهيم في جملة من وفد ولم يكن يجتمع به إلا يومئذ، فكانت بينهما هذه المناظرة ولم يعط إبراهيم من الطعام كما أعطي الناس، بل خرج وليس معه شيء من الطعام، فلما قرب من أهله عمد إلىٰ كثيب من التراب فملأ عدليه (**المفرد: عدل أي وعاء وجراب يحمل فيه الطعام**).

وقال: أشغل أهلي إذا قدمت، فلما قدم وضع رحاله وجاء، فقامت امرأته سارة إلىٰ العدلين فوجدتهما ملآنين طعامًا طيبًا، فعملت منه طعامًا فلما استيقظ إبراهيم وجد الذي قد أصلحوه، فقال: أنىٰ لكم هذا؟ قال: من الذي جاء به؟ فعرف أنه رزق رزقهم به الله عز وجل.

هاجرت معه من العراق إلىٰ مصر بعدما أصاب أرضهم الجدب، وبعدما عانده قومه وصدوا عن سبيل الله، وهناك في أرض مصر حدث لها ولزوجها محنة شديدة.

سارة في مصر:

إن المؤمنه تضحي بحياتها ولا تضحي بشرفها أبدًا وقد حفظ الله نساء الأنبياء من هذا السوء.

كان والي مصر جبارًا من الجبابرة، قد أخبره بعض حاشيته أن رجلا ً قدم من الشام ومعه امرأة غاية في الجمال تسمىٰ سارة، فقال: ائتوني بها، فلما جاءوه بها أراد أن ينال بها أكثر من مرة، فعصمها الله منه، وكفّ يده عنها، فظن أنها شيطان، فأمر بإخراجها من ساحته، وأعطاها جارية يقال لها (**هاجر**)، وقد ذكر في الحديث الذي رواه النبي ﷺ أن هذا الجبار عندما تناولها بيده أخذ (**ربما تكون شلت يده**) فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعا بعض حجبته فقال: إنك لم تأتني بإنسان وإنما أتيتني بشيطان...إلىٰ آخر الحديث(1).

قال ابن كثير: وكان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من وقت ذهب بها إلىٰ الملك قام يصلي لله -عز وجل- ويسأله أن يدفع عن أهله، وأن يرد بأس هذا الذي أراد أهله بسوء، وهكذا فعلت هي أيضًا؛ فلما أراد عدو الله أن ينال منها أمرًا، قامت إلىٰ وضوئها وصلاتها ودعت الله -عز وجل- بما تقدم من الدعاء العظيم وهو: (**اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا علىٰ زوجي فلا تسلط علي الكافر**) **ولهذا قال تعالىٰ**: (**واستعينوا بالصبر والصلاة**) فعصمها الله وصانها لعصمة عبده ورسوله وحبيبه وخليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ويجدر هنا ذكر موقف مشابه حدث للأستاذة زينب الغزالي في السجن، وقد قال إبراهيم لزوجه سارة: قولي أنا أخته؛ لأن من عادة القوم أنهم لا يأخذون الأخت ولايعتدون عليها، ولكن يأخذون الزوجة فعرف إبراهيم ذلك عنهم فقال ما قال.

حرمان من الأمومة:

حرمت سارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من نعمة الأمومة في أغلب سنوات عمرها وفي شبابها، فرضيت بقضاء الله تعالىٰ وقدره وصبرت علىٰ الابتلاء، وشغلت وقتها، وأنفذت قوتها للعمل في سبيل الله لنيل رضاه جل وعلا، ثم قدمت جاريتها هاجر لزوجها ليتزوجها راجية أن يرزقهم الله تعالىٰ الولد، ولنقاء سريرتها وسلامة قلبها تمنت أن يرزق الله هاجر الولد حتىٰ يكون ولدها هي أيضًا.

روي أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ سأل ذرية طيبة، وأن الله بشره بذلك، وأنه لما كان إبراهيم

---

(1) البخاري في صحيحه (3179)، باب قول الله تعالىٰ: (واتخذ الله إبراهيم خليلا)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ببلاد بيت المقدس لمدة عشرين سنة قالت سارة لإبراهيم: إن الرب قد حرمني الولد فادخل علىٰ أَمَتي هذه لعلّ الله يرزقني منها الولـد، فلما وهبتها لـه دخل بها إبراهيم فحملت منه، ووضعت إسماعيل، ثم أوحىٰ الله إلىٰ إبراهيم يبشره بإسحاق من سارة فخر لله ساجدًا.

ويمكن لمن حرمت نعمة الأمومه أن تتمتع بها إذا منحت حنانها للأطفال من حولها .

سارة وغيرة النساء:

غارت السيدة سارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من هاجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، حتىٰ إن هاجر كانت تأتي إلىٰ سيدنا إبراهيم متخفية وتزيل آثار وجودها حفاظًا علىٰ مشاعر سارة. وهذه الغيرة طبيعية في النساء، فهكذا خلقهن الله عز وجل؛ ولكن غيرة سارة كانت مختلفة، كانت مقترنة بتقوىٰ الله تعالىٰ ونقاء القلب مثل غيرة نساء النبي محمد ﷺ، فلم تدفعها الغيرة إلىٰ الظلم والتعدي، فلم تأمر زوجها بإبعاد هاجر وولدها في مكان بعيد كما يدعي ذلك البعض، فقد كان رحيل هاجر وابنها إلىٰ الصحراء (**وادي غير ذي زرع**) كان أمرًا من الله تعالىٰ، وأيضًا لم تدُع سارة ربها بأن يأمر نبيه بذلك كما يظن كثير من الناس؛ لأن اشتراك الزوجتين في حياة معيشية ليس بالأمر الشاذ؛ فقد يمكن أن يتعايشا سويًا دون خلافات، فهما زوجتان تقيتان.

وجاء أمر الله تعالىٰ بإبعاد هاجر وابنها لتعمير الأرض عند البيت المحرم الذي أصبح بعد ذلك قبلة للعالمين، لقد غارت سارة من هاجر غيرة محمودة العواقب، وتمنت من أعماق قلبها أن يكون لها ولد من صلب زوجها الحبيب ليكون قرة عين له ولها، وليكون أخًا لإسماعيل يشد من أزره ويشاركه في أمره، فسألت ربها ولم تبالِ بعقمها؛ لعلمها أن الله سبحانه وتعالىٰ لا يعجزه شيء

يقول البعضإن الغيره قد تكون عاملا ً محفزًا لتنشيط أجهزة الإنجاب عند المرأة.

بشرى الملائكة وتكريم سارة:

اشتهر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنه أبو الضيفان، فكان واسع الكرم مع الضيوف والأغراب، ولما جاءته الملائكة في صورة بشر حسبهم أضيافا ً وقدم لهم عجلا ً سمينًا (**لاحظ !!!! عجلًا كاملًا لثلاثة أفراد**)، وكانت سارة قائمة علىٰ رءوس الأضياف، وإن خدمة

أهل البيت في إكرام الضيوف يعد من خدمة الدين، وجهد النساء في ميدان البيت له أجر كأجر المجاهد في سبيل الله، وما من بيت خرج منه طعام لإطعام الناس أو كانت فيه الخدمة وإكرام الضيوف إلا زاده الله بركة وعطاءً، وما من بيت حبس خيره عن الناس إلا ضاق على أهله.

وقد منّ الله تعالى على سارة رضي الله عنها بمعجزة الحمل بعد أن ناهز عمرها التسعين عامًا، وأنزل ملائكة لتبشرها تكريمًا لها وتعظيمًا لشأنها، وأنزل على بيتها الرحمة والبركة، وقد فصّل موقفها في استقبال بشرى الملائكة في أكثر من موضع في القرآن يتلى إلى يوم القيامة ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود:71،73]وفي موضع آخر ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾ [الذاريات:29].

وقد جاءت البشرى تحمل بشريات:

1 –أنها سوف تلد بعد هذه العمر.

2 –أنها ستلد ولدًا كما ولدت هاجر.

3 –أن الغلام سيكبر، فلا يخشى عليه الموت.

4 –أن ابنها سيكون نبيًا.

5 –أنه سيولد له يعقوب وهو نبي أيضًا، وهذا ما يتمناه الإنسان بطبيعته البشريه في امتداد ذريته بعد موته وصلاحهم.

6 – أن الله تعالى راضٍ عنهم، وسيعمهم بالرحمة والبركة جزاء صبرها الطويل وشكرها الدائم وهذه أعظم جائزة.

وقد توفيت سارة بالشام وهي بنت 127سنة ودفنت في الخليل **(في فلسطين الآن)** وقد حزن عليها إبراهيم حزنًا شديدًا.

لتتعلم نساء العالمين حسن التوكل على الله وعظيم الرجاء في رحمته والثقة في فضله تعالى.

خواطر وعبر:

❋ الإيمان بالله وحسن التوكل عليه يخفف الأعباء ، ويقلل الآلام.

* الرضا بقضاء الله وقدره في الحرمان من الأمومة يمنح السعادة للمرأة ويشعرها أنها أم لكل أطفال الدنيا.
* الغيرة بين النساء أمر طبيعىٰ ، تقوىٰ الله تعالىٰ تقي المرأة من الوقوع في إثـم الجـور والطغيان ، أو ما قد تسببه الغيرة.

* * *

هاجر – المصرية

(امرأة في
مواجَهَةِ الصِّعاب)

هاجر ـ المصرية

(امرأة في مواجهة الصِّعاب)

هي هاجر المصرية أم إسماعيل، وهي رحم رسول الله ﷺ حيث قال: (**إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمَّة ورحمًا**)[1].

وكانت هاجر -ولا تزال- المثل الأعلىٰ لوفاء الزوجة والقدوة الحسنة في طاعة زوجها وتنفيذ أوامره، فقد تحمَّلت مع زوجها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مشاق الهجرة والأسفار والانتقال من بلد إلىٰ بلد، فلم تتمسك بالبقاء في وطنها مصر حيث الخيرات وطيب الهواء، فهاجرت معه إلىٰ الشام، ونزلا بمكان يسمىٰ اسمه (**السبع**) من أرض فلسطين، وحفر بها بئرًا واتخذ بها مسجدًا، ولعل هذا المكان هو ما يسمىٰ (**بئر السبع**) بفلسطين الآن.

ثم قبلت هاجر نقلها هي وابنها إسماعيل من أرض فلسطين بلد الخيرات الوفيرة والمياه العذبة إلىٰ الإقامة في مكة؛ في صحراء قاحلة لا زرع ولا نبات ولا ماء، وأمر إبراهيم هاجر أن تقيم عريشًا فوق صخرة، ثم دعا ربه ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:37]، ثم انصرف إبراهيم فجرت وراءه هاجر، وهي تقول: إلىٰ من تكلنا؟؟ فجعل لايرد عليها فقالت: آلله أمرك بهذا؟ فقال: نعم قالت: إذًا لن يضيعنا.

*هل يوجد في عصرنا من تسلم أمرها لله إذا ضاق عليها عيشها كهاجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؟

تحدي الظروف:

كان مع هاجر شنّة فيها ماء فنفد الماء، وكان جو الصحراء حارًّا فعطشت، وعطش الصبي، واشتد بهما الظمأ، فنظرت أي الجبال أدنىٰ إلىٰ الأرض، فصعدت الصفا (ملحوظة...... **جبل الصفا الآن أقل بكثير من طبيعته وارتفاعه الحقيقي عندما**

---

(1) رواه مسلم في صحيحه (2543)، باب وصية النبي بأهل مصر، من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صعدته أمنا هاجر) وتسمّعت علها تسمع صوتًا أو ترىٰ إنسيًا، فلم تسمع صوتًا ولم ترَ أحدًا، ثم إنها سمعت صوت سباع الوادي نحو ابنها إسماعيل فأقبلت إليه مهرولة بسرعة، ثم صعدت المروة، وهكذا أخذت تسعىٰ بين الصفا والمروة سبع مرات، فكان هذا ركنًا من أركان الحج بعد ذلك.

تخيل معي مدىٰ الاضطراب والمشقة خلال هذا السعي والخوف علىٰ الابن والخوف من المجهول والخوف من الموت، وتأمل كيف أصرت علىٰ السعي رغم هزال الجسد من الجوع والعطش وحرارة الشمس، وقد أخذت تدعو ربها في ضراعة وتستغيث به إلىٰ أن سمعت صوت الماء، فقالت: صه، ثم رأت عينًا يفيض منها الماء العذب تحت قدم إسماعيل، وكان الماء يتدفق فخافت من تسرب الماء في جوف الصحراء، فأخذت تجمع الرمال بيديها حول الماء وهي تقول: زم.. زم..زم.. ولذلك سمي (**بئر زمزم**).

نلاحظ أنها تتحدث وتتكلم وتتفاعل رغم الظروف التي وضعت فيها إلا أنها تحاول أن تبحث عن حل للمشكلة، وتأخذ بجميع الأسباب للخروج من المأزق رغم ما يبدو من ظلام الأفق في الخروج منه، وهذه هي أول خطوة في حل المأزق، وهو الأمل في إيجاد الحل مع التوكل علىٰ الله فيه، وهذا لا يتوفر إلا لمن كان لها قلب مؤمن بالله حق الإيمان.

وظلت هاجر مع ولدها وحيدين حتىٰ مرت جماعة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير علىٰ الجبل، فقالوا: إن الطير لحائم علىٰ ماء، فاقتربوا من المكان، فإذا هم بالماء، فطلبوا منها أن يعيشوا بجوارها لينتفعوا بالماء، فأذنت لهم، واستأنست بهم، وكانت تأخذ أجر الماء لتعيش به وتنفق علىٰ ابنها، إنها امرأة تعرف كيف تحسن التصرف وتتغلب علىٰ ضعفها وحاجتها.

تربية امرأة

عاشت هي وولده إسماعيل في جوار آمن وكان إبراهيم يزور هاجر وابنها في كل عام مرة أو مرتين إلىٰ أن شبَّ إسماعيل، وأصبح قادرًا علىٰ العمل والكسب، من الذي رباه؟ لقد أحسنت هاجر تربيته وحدها في ظل هذه الظروف الصعبة، وهكذا هي المرأة عندما تقويها عزيمة الإيمان والإصرار علىٰ مواصلة الطريق والرضا بما قضاه الله..... فتصبر وتنجح وتفوق الرجال في قوة إرادتها.

ابتلاء الذبح

ثم يأتيها ابتلاء آخر لنتصور امرأة وحيدة ليس لها في الدنيا سوىٰ ولدها التي شقيت من أجل تربيته علىٰ أحسن وجه، ماذا تفعل عندما ترىٰ أباه يأتي ليذبحه؟ هل تستطيع أم أن قلبها يتحمل كل هذا؟ ولكنه الإيمان الذي كانت تحمله أمنا هاجر بين جوانبها وحبها لرب العالمين جعلها تتحمل أشد البلاءات وأكثرها قوة، واستطاعت أن تقهر الشيطان، وأن ترضىٰ بقضاء الله تعالىٰ في تسليم وإذعان دون ضجر ولا سخط، فرفع الله البلاء وفدىٰ ولدها بذبح عظيم ينزل من السماء، وخلد هذا الموقف علىٰ مر الزمان ليكون نبراسًا للمؤمنين في كل عصر.

ملامح الشخصية:

إن ملامح شخصية هاجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تمثل في الغالب شخصية المرأة المصرية الأصيلة ومنها:

* اللين والطبع الهادئ الجميل.
* قوة العاطفة والحنان الزائد في تربية الولد.
* الصبر وقوة التحمل في الشدائد والمحن.
* الرضا بالقضاء والقدر.

خواطر وعبر:

* الصبر والاستسلام عند ضيق ذات اليد ، والتوكل علىٰ الله وحده في ذلك؛ فالرزق بيد الله وحده يرزقه من يشاء.
* الإيمان يبعث الأمل ، ويمد المرء بالعزيمة؛ فلا ييأس من حل المشكلات ، وقد أعطت لنا أمنا هاجر القدوة الحسنة في ذلك.
* تعلمنا أمنا أيضا الإصرار ، والصبر حتىٰ نجتاز مزالق الطريق علىٰ مدىٰ الحياة ، وذلك في طاعة الله تعالىٰ.
* التحلىٰ بالصبر عند البتلاء في الأبناء.

* * *

امرأة لوط

(عجوز السوء)

امرأة لوط

(عجوز السوء)

هي..عجوز السوء... كانت امرأة عجوزًا سيئة الخلق، سليطة اللسان، لا تكتم سرًا، ولا تحفظ عهدًا، ولم يؤثر فيها زوجها التقي النقي النبي لوط عليه السلام فكفرت بالله، وكان هواها مع قومها، فقد ألفت فحشهم وفجورهم، ورغبت عن طهارة زوجها وتقواه.

لم تفعل امرأة لوط المنكر، فقد حفظ الله الأنبياء من الفواحش، وإن الله تعالىٰ وصفها بالخيانة للعقيدة ولزوجها، ولدعوة دين الحق لا خيانة الشرف ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ...﴾ [التحريم:10].

ولعلها تستخفي وتظهر عليهم، ثم تنقل إليهم ما يسيء للرسالة والرسول، وتظاهرهم في عدائهم، وفي ذلك كل الخيانة: خيانة الله ورسوله، وخيانة المسئولية الاجتماعية كأم وزوجة.

يقول بعض المفسرين: إن زوجة لوط عليه السلام هي التي نقلت إلىٰ قومه خبر نزول الملائكه أضيافًا عنده في بيته نقلت الخبر علىٰ أساس ما رأت في شكلهم ومظهرهم، وهي لا تعرف حقيقتهم، فقد كانوا في صورة الفتية الحسان، وسرعان ما دخل قوم لوط بيته ونزلوا ساحته، وطلبوا منه أن يخلي بينهم وبين ضيوفه يفعلون بهم الفاحشة، وكان لوط قد أخذ علىٰ أهله عهدًا بألا يخبروا قومهم بأمر الضيوف.

يقال: إن امراته كانت تقف في البيت تحرض بنظراتها القوم علىٰ المنكر والسوء، غير أن أيدي السوء لم تصل إلىٰ الملائكه وحقت علىٰ الكافرين والإباحيين لعنة العذاب.

أمر الملائكة لوطًا عليه السلام وأهله أن يغادروا القرية؛ لأن الله منزل بها العذاب وأمرهم ألا يلتفتوا، وتذكر الروايات أن امرأة لوط خرجت معهم، وعندما سمعت

الصوت التفتت فأرسل الله إليها حجرًا، فأهلكها ولم يشفع لها كونها زوجة نبي إذ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدَّثر:38]، ولم يؤمن مع لوط إلا ابنتاه فقط. ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات:35،36]، وكانت قرىٰ لوط هي: صعرة و صبعة وعمرة ودوما، وقرية سدوم هي القرية الرئيسية.

وجاء في المستدرك:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن أناس، من أصحاب النبي ﷺ مرفوعًا قال: (**لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط وأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها وكان له ابنتان، فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، مكانكم لا تدخلوا حتىٰ آتيكم فأتت أباها، فقالت: يا أبتاه أدرك فتيانًا علىٰ باب المدينة، ما رأيت وجوه قوم هي أحسن منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم، وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلًا، حتىٰ قالوا: حل علينا فليضيف الرجال، فجاءهم ولم يعلم أحدًا إلا بيت أهل لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومه، قالت: إن في بيت لوط رجالًا ما رأيت مثل وجوههم قط، فجاءه قومه يهرعون إليه، فلما أتوه قال لهم لوط: (يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) هؤلاء بناتي هن أطهر لكم مما تريدون، قالوا له: أو لم ننهك أن تضيف الرجال؟ (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ)**.

فلما لم يقبلوا منه ما عرضه عليهم، (**قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ**)، يقول صلوات الله عليه: لو أن لي أنصارًا ينصروني عليكم أو عشيرة تمنعني منكم لحالت بينكم وبين ما جئتم تريدونه من أضيافي، ولما قال لوط: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلىٰ ركن شديد بسط حينئذٍ جبريل جناحيه، ففقأ أعينهم وخرجوا يدوس بعضهم في آثار بعض عميانًا، يقولون: النجا النجا، فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض، فذلك قول الله عز وجل (**وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ**) وقالوا: (**يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلا امْرَأَتَكَ**) فاتبع آثار أهلك، يقول: (**وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ**) فأخرجهم الله إلىٰ الشام وقال لوط: أهلكوهم الساعة، فقالوا: إنا لم نؤمر إلا بالصبح، أليس الصبح بقريب؟

فلما أن كان السَّحَر خرج لوط وأهله عدا امرأته، فذلك قول الله عز وجل: (**إِلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ**)(1).

يصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[الأعراف:80،84].

وفي سورة الحجر يقول الله سبحانه وتعالىٰ في حقهم أيضًا: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر:76،73].

عقاب قوم لوط:

عاقب الله عز وجل قوم لوط عقابًا أليمًا؛ لعدم استجابتهم لأمر نبيهم؛ وإصرارهم علىٰ الإتيان بالفاحشة غير المسبوقة من قبل، وأما عن امرأة لوط فبالرغم من أنها لم تفعل الفاحشة؛ إلا أنها عوقبت معهم؛ لأنها وافقت عليها؛ ولم تتبع أمر نبيها وزوجها لوط عليه السلام؛ بل كانت تعانده وتوافق قومها.

إن الله أَخْبَرَ نَبِيَّه أن امرأته مُصيبها ما أصاب قومها، فقال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ﴾[هود:81]. وما الذي أصاب القوم؟ قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾[هود:82]. فإنها رُمِيَتْ بالحجارة كما رُمِي القوم.

نظرة فاحصة في طريقة عقاب قوم لوط(2):

إن قصة قوم لوط بمجموعها، آية من آيات الله للمؤمنين (**إِنَّ فِي ذلك لآية**

(1) رواه الحاكم في المستدرك 2/ 613، رقم (4059)، عن ابن عباس، وابن مسعود رضي الله عنهما، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه.
(2) (موقع د/ طارق السويدان).

للمؤمنين) ولكنها تحتوي علىٰ آيات كثيرة، يمكن استنباطها للمتفحصين والمدققين وللمتفكرين الناظرين في الأمر لقوله تعالىٰ: (**إنَّ في ذلك لآيات للمتوسمين)**، والواسم هو الناظر إليك من قرنك إلىٰ قدمك. وسنذكر بعض الحقائق الطبية والعلمية المستنبطة من هذه الآيات:

1) إن عمل قوم لوط الشنيع هذا كان الأول من نوعه لقوله تعالىٰ: (**ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين)**، فهو عمل مكتسب من عاداتهم السيئة وطبائعهم وليس وراثيًا؛ لأنهم كانوا أول من مارسوه، فلو كان وراثيًا لكانت أجيالهم السابقة تمارسه أيضًا، ولكان ذكر ذلك القرآن الكريم، فهم يتحملون وزر عملهم ووزر من عمل به إلىٰ يوم القيامة، كما أشار النبي ﷺ إلىٰ ذلك بقوله: «**من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فعُمِل بها بعدهُ كُتِب لهُ مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء. ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعُمِل بها بعده كُتِب له مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء**»(1).

2) ومن الناحية الطبية يمكن أن نتساءل عن الحكمة من خصوصية عقوبة قوم لوط بجعل عاليهم سافلهم وقصفهم بحجارة السجّيل المنضود (**رشقات متناسقة متتالية من الطين المحترق أو المعدن الحار)** التي قامت بحرقهم وإصابتهم كلّ بفرده لقوله تعالىٰ (**مسوّمة)**، أي: مهدّفة ومصوّبة بحيث أصابت كل شخص منهم بنصيب وكما جاء بالتفاسير (**إنها كانت معلّمة مكتوب علىٰ كل منها اسم صاحبها الذي ستقتله)**. ثم كان دفنهم في أعماق الأرض التي قلبها رأسًا علىٰ عقب ولم تترك أجسادهم مطروحة علىٰ الأرض في موقع الأحداث كما حدث لقوم عاد مثلاً في قوله تعالىٰ في سورة الحاقة ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:7،8] .

فكانت أجسادهم (**قوم عاد)** ملقاة علىٰ الأرض كأنهم سيقان النخل الميتة الهزيلة. فما هو السر في هذا النوع من عذاب قوم لوط؟

إنه والله أعلم كانوا حاملين أو مصابين بمرض جنسي انتقالي وبائي، فأراد الله أن يطهر البيئة والمنطقة المحيطة من رجسهم ودنسهم ومرضهم الذي يحملوه منعًا

---

(1) رواه مسلم في صحيحه (1691)، كتاب «الزكاة» باب: «الحث علىٰ الصدقة ولو بشق تمرة».

للتلوث كما طهرها من شركهم وكفرهم، **وهذا الاستنباط يعتمد علىٰ الأسباب التالية:**

أ- أصبح هذا الشذوذ الجنسي أمرًا مألوفًا لديهم يمارسونه بصورة علنية في أماكنهم العامة ونواديهم كما قال تعالىٰ لهم **(وتأتون في ناديكم المنكر)** أي أنهم كانوا لا يستخفون ولا يستترون ولا يتحرجون منه، والذي يؤكد ذلك مجيئهم إلىٰ سيدنا لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما عرفوا بوجود ضيوف عنده، ومطالبتهم إياه وبصورة وقحة تنمّ عن المستوىٰ الدنيء الذي وصلوا إليه بالمجاهرة بمثل هذه المعصية وبصورة علنية غير مراعين للآداب العامة، ولا محترمين للضيف الذي يكون في حماية مضيّفه إلىٰ غير ذلك من الاعتبارات التي تعارف عليها الناس في مجتمعاتهم والتزموا بها مع اختلاف معتقداتهم. ومن بين هؤلاء العرب في جاهليتهم حيث كان للضيف عندهم المقام الأسمىٰ.

لقد ناقش قوم لوط نبيهم بوضوح فاضح وجادلوه جدالًا ساخنًا في شأن أضيافه **(الرسل – الملائكة)** فكان نقاشهم وجدالهم أعظم دليل علىٰ قبح سلوكهم الشائن والمعلن والذي ذكره القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود:77،79]، وهكذا وعندما أصبح أمرهم شائعًا علنًا صَدَق عليهم قول الصادق الأمين ﷺ: «**لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتىٰ يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا**»(1).

ب- ومما يعضد هذا الاستنباط قولهم **(أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون)** أي يتنزهون...لقد كان آل لوط طاهرين غير ملوثين وبمفهوم المخالفة إنهم كانوا **(أي قوم لوط)** ملوثين غير طاهرين؛ وحاملين لمرض جنسي انتقالي خطير!!. وكذلك لقول سيدنا لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه أثناء المناقشة التي دارت بينهما ومطالبتهم إياه بتسليم أضيافه لهم لارتكاب الفاحشة معهم بأن البديل لهذا العمل

---

(1) رواه ابن ماجه في سننه (4019)، كتاب الفتن، باب العقوبات، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وحسنه الشيخ الألباني.

الشائن والقبيح والضار هو الزواج الطبيعي (**الشرعي**) من النساء واتباع سنة الفطرة في العلاقات الجنسية وليس بالشذوذ والانحراف عن ذلك فقال الباري عز وجل علىٰ لسانه (**قال ياقوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم**).

وفي قوله (**بناتي**)، أي: بنات القوم والعشيرة؛ لأنه كان رئيسهم ونبيهم وكل نساء قومه بمثابة بناته، والشاهد هنا في قوله: (هن أطهر لكم)، أي: إن ممارسة الغريزة الجنسية عن طريق الزواج الشرعي بهنَّ هو عين (**الطهر**) والخير والنماء والصحة والعافية للفرد والمجتمع وفي حالة الانحراف عنه إلىٰ الشذوذ الجنسي (**عمل قوم لوط أو الزنا**) هو التلوث والضرر والمرض (**المخالف للطهارة**) وفي ذلك إشارة غير مباشرة من سيدنا لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ لوقايتهم من الأمراض التي تنتقل عن الممارسات الجنسية غير الشرعية.

ج- إن طريقة دفن الموتىٰ المتوفين بمرض متلازم نقص المناعة المكتسب (الإيدز) تشبه إلىٰ حد كبير نوع العقاب الذي وقع علىٰ قوم لوط من تحريق، ثم دفن في أعماق الأرض حتىٰ لا ينتشر الجرثوم الذي حملوه في محيطهم وبين مجتمعاتهم؛ لأن هذا الجرثوم (**كما في فيروس الإيدز مثلًا**) معدٍ بجميع إفرازات جسد حامله من دم ومني وبول ولعاب قال تعالىٰ في سورة هود: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:82،83] . وقال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر:33،34].

وبمقارنة بسيطة مع التعليمات حول دفن المرضىٰ المصابين بمرض نقص المناعة المكتسب (**الإيدز**) الصادرة عن اللوائح الصحية الدولية نرىٰ سبق القرآن الكريم للطب الحديث في الوقاية من أمراضٍ وبائية كهذه فالتقت حقائق الطب والعلم الصحيحين بكتاب الله المؤيدان له علىٰ الدوام، وأصبح القرآن مفتاح العلوم. **وهذه التعليمات هي:**

تعليمات دفن الموتىٰ والمصابين بمرض الإيدز :

1. إبلاغ دائرة الخدمات الوقائية عند حدوث الوفاة.
2. لا يجوز دفن الجثة من قبل ذويها (**عندما تكون الإصابة بأحد الأمراض الخاضعة**

للوائح الصحية الدولية كالحمىٰ النزفية ومرض متلازمة العوز المناعي المكتسب – الإيدز).

3. تدفن الجثة من قبل دائرة صحة المحافظة وتحت إشراف شعبة الأوبئة بالتعاون مع أمانة العاصمة أو البلديات في المحافظات في الأماكن المخصصة لهذا المرض في مقبرة المدينة التي حدثت فيها الوفاة، ولا يجوز نقل الجثة إلىٰ منطقة خارج منطقة الوفاة.
4. سد كافة منافذ الجثة ويمنع تسرب الإفرازات منها مع لف الجثة بقماش مشبع بمحلول مادة (**الفورمالين**) مع التأكد إلىٰ القائمين علىٰ العمل بالعملية بوجوب اتخاذهم كافة الاحتياطات اللازمة لمنع انتقال العدوىٰ.
5. توضع الجثة في تابوت معدني في قاعه طبقة خاصة من مادة كالفحم أو نشارة الخشب ومضاف إليه مادة مطهرة (**الفورمالين**) ويقفل جوانب التابوت وفتحاته باللحيم.
6. يوضع التابوت المعدني في داخل صندوق خشبي بسمك (**2سم**) وجوانبه غير قابلة لنفوذ السوائل ويحكم إقفاله بواسطة المسامير اللولبية.
7. يحفر القبر بعمق مترين مع إضافة المواد المطهرة إلىٰ قاع القبر وإلىٰ التراب بعد تغطية التابوت به.
8. يكون الدفن بإشراف وحضور ممثل المؤسسة الصحية، وينظم محضر خاص بالدفن وتسلم شهادة الوفاة إلىٰ ذوي المتوفىٰ بعد انتهاء مراسيم الدفن.
9. لا يجوز نقل جثة المتوفىٰ بأحد الأمراض الخاضعة للوائح الصحية الدولية والحمىٰ النزفية ومرض متلازمة العوز المناعي المكتسب (**الإيدز**) إلا بعد انقضاء فترة سنتين من تاريخ الدفن وبعد الحصول علىٰ الإجازة الصحية الخاصة بذلك من وزارة الصحة.

ولو تأملنا الآيات النازلة بحق قول لوط من جهات كثيرة احتوتها لوجدنا أن الله تعالىٰ جعل عقوبتهم المخصوصة بهم وقاية صحية لبني آدم فدفنُهُم بالأعماق وتغطيته أجسادهم بالحصىٰ المحترق المتراكم عليهم كالخراسانات الإسمنتية دليل علىٰ إن الوقاية من الجراثيم التي يحملونها لا يُتَحصّن منها إلاّ هكذا... وأصبح دفن الموتىٰ بمرض (**الإيدز**) في زماننا هذا بتعليمات مشددة كما هو مبين في التعليمات

السابقة، ومقاربة كثيرًا لنوعية عقوبة قوم لوط بل نجد في خصوصية عقوبتهم إجراءات أشد وأقسىٰ؛ لكونها عقوبة جماعية (**والعياذ بالله**)، واحتمالات انتشار الوباء في حالتهم أكبر وأخطر من الحالات الفردية والله أعلم[1].

خواطر وعبر:

* بنات لوط: بنتان كانتا في قمة الطهر والعفة رغم البيئة الآسنة الفاسدة، ورغم كفر أمهما وفساد أخلاقها.
* فانتشار الفواحش والتبرج والعري في الشارع، وعلىٰ الشاشات بشكل فج لا يكون مبررًا؛ لأن تصبح الفاحشة أمرًا مألوفًا، معتادًا؛ بل يمكن للقلب المؤمن الطاهر من بناتنا أن يحتفظ بنقاوته وطهارته وسط هذا القذر عندما يستعصم بالله العزيز الحكيم.
* كل امرئ بما كسب رهين؛ فلم يشفع لامرأة لوط أنها زوجة نبيٍ؛ ولم تنجُ من العقوبة مع قومها.
* إن من لم ينكر المنكر مطلقا ، ويبدئ موافقته عليه ، يشترك مع فاعله في الإثم ، واستحق بذلك العقوبة ، كما حدث مع امرأة لوط.

* * *

(1) موقع د/ طارق السويدان.

رحلة امرأة

إسماعيل عليه السلام

(الزوجة المثالية)

رعلة امرأة إسماعيل عليه السلام

(الزوجة المثالية)

إعلان هام:

شاب في مقتبل العمر، يبحث عن عروس مثالية بها كل صفات الزوجة الصالحة التي هي متاع الدنيا، يريدها مثل رعلة رضي الله عنها زوجة إسماعيل عليه السلام فهل يوجد رعلة في هذا العصر؟؟

ترىٰ من هي رعلة؟ وما قصتها؟.

هي رعلة بنت مضاض بن عمرو الجرهمية، تزوجها إسماعيل وكانت الزوجة الثانية بعد أن طلق زوجته الأولىٰ.

قصة طلاق الزوجة الأولى:

كان اسمها صدىٰ بنت سعد.

لما بلغ إسماعيل عليه السلام الثامنة عشرة من عمره تزوج هذه الفتاة من جرهم، وجاء إبراهيم عليه السلام لزيارة ابنه ولم يجده. وسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا رزقًا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم؛ فقالت: نحن بشرٍّ وفي ضيق وشدة، وشكت إليه، فقال: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له يغير عتبة بابه، وفهم إسماعيل رسالة أبيه فطلق هذه المرأة.

ولقد تبين لإبراهيم عليه السلام وهو الفطن اللبيب أن هذه الزوجة فظة غليظة لم تحترم سنه، ولم توقر شيبته، ولم تقدم له أدنىٰ شيء من الضيافة لبخلها، ولم يلقَ منها غير الشكوىٰ.

إنها لا تحمد الله تعالىٰ، ولا تقنع بما عندها وأدرك أنها لا تصلح أن تكون أمًا للذرية التي وعده الله بها لتحمل رسالته إلىٰ مشارق الأرض ومغاربها.

قصة إبراهيم عليه السلام مع رعلة:

وبعد عامين تاقت نفس إبراهيم عليه السلام للحج وزيارة ولده إسماعيل؛ فشد الرحال

إلىٰ مكة؛ ثم توجه إلىٰ حيث دار إسماعيل فلم يجده، فسأل امرأته عنه؛ فقالت: خرج يبتغي لنا طعامًا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشتهم وهيئتهم، قالت: نحن بخير وسعة، وأثنت علىٰ الله عز وجل، قال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، فما شرابكم؟ قالت: اللبن، فجاءت باللبن واللحم، فدعا لهما بالبركة، فقالت: انزل حتىٰ أغسل رأسك، فلم ينزل، فجاءته بالمقام فوضعته عن شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه، فغسلت له شق رأسه الأيمن، ثم حولت المقام إلىٰ شقه الأيسر، فغسلت شقه الأيسر، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام، وقولي له: قد استقامت عتبة بابك.

وتبين لإبراهيم عليه السلام أنها ذات لطف وذكاء، كريمة مع الضيف، حامدة شاكرة لله علىٰ نعم الله عليها وعلىٰ زوجها.

واطمأن إبراهيم عليه السلام إلىٰ تلك الزوجة الوفية الصابرة الشاكرة، وتوقع أن ذريته ستكون منها؛ فحمد الله عز وجل، وكر راجعًا إلىٰ حبرون، وهي البلدة التي يسكن فيها مع زوجه سارة.

رعلة الودود الولود:

لقد كانت رعلة هي الولود الودود، التي أمر رسول الله ﷺ بالزواج بمثلها ليباهي بنا الأمم يوم القيامة، فقد ولدت اثنيعشر رجلاً ، ومنهم نشر الله العرب. وكان عمر **(إسماعيل)** فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة، ونبأ الله **(إسماعيل)** فبعثه إلىٰ العماليق وقبائل اليمن.

وجاء في **(شفاء الغرام)** أن لإسماعيل غير أولاده الاثنىٰ عشر ابنة تدعىٰ **(نسمة بنت إسماعيل)**، فأوصىٰ إن حضرته الوفاه أن تزوج لابن أخيه **(العيص بن إسحاق)** وتم دفن إسماعيل عليه السلام في الحجر عند قبر أمه **(هاجر)**.

وقرب البيت العتيق، صعدت روح **(رعلة)** الطاهرة إلىٰ بارئها لتلتقي بأرواح الأبرار رحمها الله تعالىٰ.

ملامح الشخصية:

فتاة بدوية بسيطة ، هادئة ودودة ، تتمتع بحسن الخلق من البشاشة وكرم الضيافة ، واحترام الكبير ، تحفظ السر وتقنع بما كتبه الله لها.

خواطر وعبر:

1- الدنيا متاع وخير متاعها الزوجة الصالحة، ورعلة ﵂ كانت ولا زالت مثالًا لها **ومن أهم صفاتها:**

أ- حفظ أسرار البيت، فلم تخبر كل من يطرق بابها بما قد تعانيه أو تستاء منه، ولم تنشر جميع أخبارها ليعلمها القاصي والداني كما يفعل بعضهن.

ب- القناعة والرضا بما قسمه الله تعالىٰ، فالحياة في تقلب مستمر، والله هو الذي يقدر الرزق ويبسطه، والزوجة الصالحة هي التي تذكر النعمة دائمًا، وذكرها هو شكرها، ولكن الكثير من الزوجات لا تذكرها إما خوفًا من الحسد أو لنكرانها إياها **(وهؤلاء ممن يكفرن العشير)** وقد تقارن نفسها بغيرها ممن هي أكثر منها مالًا فلا تقنع، وأما رعلة فقد ذكرت ما عندها من الخير، وفعلت كما أمر الله تعالىٰ: **(وأما بنعمت ربك فحدث)**.

ج- عدم الشكوىٰ التي قد تفسد الحياة الزوجية وتعكر صفوها كما يفعل البعض منهن فتفضح زوجها وتلاحقه بذكر عيوبه في كل مكان، ولكن رعلة حرصت علىٰ إبداء زوجها في أفضل صورة، وأنه لم يقصر معها في شيء، وكأنها أظهرت الثناء عليه.

د- توقير الكبير والرحمة به بشكل عام، وأحيانًا تضيق المرأة بحماها أو حماتها فتحرض زوجها علىٰ إهمالهما والتقصير في حقهما، وتدعوه إلىٰ العقوق فيذل ويخزىٰ.

(ليس منا من لم يوقر كبيرنا).

2- الكرم شيمة الصالحين والأنبياء وهو قيمة عظيمة (**...ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...**)، والكريم قريب من الله، قريب من الناس قريب من الجنة، بعيد عن النار.

3- آداب الضيافة

من هذه الآداب أن تخدم ضيفك بنفسك حتىٰ لو عندك الخدم، وهو قمة الكرم فهو جود بالنفس والمال معًا.

وقد أحسنت صنعًا أمنا رعلة عندما ساعدت الشيخ في غسل رأسه بعد ما قدمت له

أطيب ما عندها من طعام وشراب، وقابلته بالبشاشة والترحاب الذي هما أغلىٰ ثمنًا من الطعام.

4- أمر إبراهيم بتطليق الابن زوجته أمر يجب توضيحه، فهو نبي كريم، وهو خليل الله، وليس كل الناس كذلك، وأعتقد أنه ليس من الإحسان أن يطلب والد ذلك، وأنه أحيانًا لايراعي الأب اختلاف الأجيال والزمان كما أن كل أب لا يملك ما يملكه إبراهيم من البصيرة والحكمة..

* * *

راعيل -امرأة العزيز

(الجميلة في المنبت السوء)

راعيل ـ امرأة العزيز

(الجميلة في المنبت السوء)

النشأة والبيئة:

اسمها راعيل –وهي امرأة عزيز مصر (**رئيس مجلس الوزراء –أو وزير المالية في العصر الحديث**) والذي يقوم علىٰ خزائن الأرض، واسمه قطفير –وكان ملك مصر وفرعونها في ذلك الوقت هو (**الريان بن الوليد**).

ذكر الطبري أن قطفير كان رجلاً لا يأتي النساء، وكانت امرأته حسناء ناعمة في ملك ودنيا، كما ذكر أن عمر يوسف عليه السلام عندما ألقي في البئر 17 عامًا، وأنه أقام في منزل العزيز 13 عامًا، فلما اشترىٰ العزيز يوسف عليه السلام قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾[يوسف:21].

فيبدو أن العزيز وامرأته لم يرزقا أولادًا، وأن هناك حالة يأس أو شبه يأس من الولد – فمن المتوقع أن يكون رئيس وزراء مصر لا يقل عمره عن 40 عامًا، وأن زوجته حوالي 30 عامًا.

ونحاول أن نتصور البيئة التي عاشت فيها امرأة العزيز – فهي من طبقة أرستقراطية شبه منعزلة عن باقي المجتمع من الطبقات الكادحة، فقد عاشت في جو القصور حيث الخدم والحشم وجمال المنظر والشكل، والمشهد الذي يصور امرأة العزيز وهي تستضيف صديقاتها وأنها أعتدت لهن متكأ وأعطت كل واحدة منهن سكينًا علىٰ مائدة الطعام يوحي بمدىٰ تطور الحضارة في ذلك العصر، ومستوىٰ التنعم الذي كانت تعيشه امرأة العزيز – هذا مع الفراغ النفسىٰ والعقلي، فلا ولد ولا زوج يحقق السكن، ولا انشغال بقضايا المجتمع، والمساهمة في حل مشكلاته من أعمال بر وخير، ولا إيمان وورع يكبح جماح الشهوة، ويحيي الضمائر ويرفع النفوس والعقول.

نتوقع أن تكون قصتها مع يوسف قد بدأت في سن (30 –40) وأن يوسف 25 عامًا أو حواليها.

وقد كانت حياة القصور مغلقة، لا يكشف عما يدور بداخلها، وكل ما يهم رب البيت المظهر الخارجي فقط، ولا مانع من وجود فواحش داخل القصر، المهم ألا تخرج عن جدرانه، هذه هي بيئة امرأة العزيز التي عاشت فيها لكي نعرف ما كان يدور بخلدها.

كيد النساء:

إن كيدهن عظيم.. هي صفة وطبيعة في كثير من النساء وهي القدرة علىٰ الحيلة والمكر والخداع، فهل هي صفه محمودة أم مذمومة؟

أرىٰ أنها إذا استعملت في الخير تكون محمودة، فالمرأة عندها قدرة فائقة علىٰ كسب قلب زوجها إن أرادت هذا؛ عندها قدرة فائقة علىٰ مصاحبة أبنائها ومراقبتهم ورعايتهم دون أن يشكوا في إخلاصها لهم؛ عندها قدرة فائقة علىٰ حسن الصلة بأهل زوجها وتحسين العلاقة بين زوجها وأهلها..وهكذا.

وأما عندما يخلو قلب المرأة من الإيمان بالله وخشيته فسلاح الكيد لديها يكون بمثابة القنبلة الموقوتة التي تفجر الشر تفجيرًا.

ألوان الكيد في قصة امرأة العزيز:

1-**مراودة فتاها عن نفسه:**

لقد غلّقت الأبواب، وقالت: هيت لك، ولم تكن هذه مفاجأة بلا تهديد في إغراء طويل، فكان أمر التصريح بمثابة الدعوة الأخيرة بعدما نصبت شباكها علىٰ مدىٰ سنوات طويلة.

وكثيرًا ما نجد في عصرنا امرأة تنصب شباكها حول رجل متزوج أو غير ذلك، وقلما يصمد الرجل إلا إذا استعصم بالله تعالىٰ، فهو حقًا كيد عظيم، ولا تفعل ذلك إلا من محيت التقوىٰ من قلبها.

2- **إلقاء التهمة على يوسف:**

وهذا هو قمة الجبروت أن تلبس المجني عليه التهمة، وكثيرًا ما تفعل ذلك النساء غير الفضليات في خصومهن.

3- **الكيد للنسوة:**

وهذا الكيد يدل علىٰ أن امرأة العزيز كانت لاتفكر إلا في هذا الأمر؛ بحيث وجهت

كل طاقتها وفكرها وقوتها في الحيلة والمكر تجاه هذا الأمر.

وكيد النساء بعضهن لبعض مشهور في كل عصر؛ حيث إن المرأة تحب أن تبدو في صورة جيدة أمام قريناتها، وتحب أن تتعالىٰ عليهن وتغيظهن بشتىٰ الوسائل.

ولكن في حالة امرأة العزيز يبدو أن المجتمع والطبقة الأرستقراطية بالذات كانت في انحلال أخلاقي كبير لدرجة أن إعلان الفاحشة فيه أمر طبيعي، كان حديث النساء من قبل في لومهن لامرأة العزيز، لا لأنها تقدم علىٰ الفاحشة؛ ولكن لأنها راودت فتاها عن نفسه وهو خادمها وأقل منها في المكانة، وعندما كادت لهن امرأة العزيز أرادت أن يعذرنها في رغبتها، ثم حدث ما أرادت، وأخذ النسوة يطلبن من يوسف الاستجابة لسيدته؛ بل إنهن راودنه كذلك عن نفسه، وأخذن يحسدنها علىٰ وجود هذا الفتىٰ عندها.

فالإنسان بلا إيمان وبلا صلة بالله تعالىٰ يصبح كالحيوان الذي لايعرف من الدنيا سوىٰ شهوته.

4- الكيد لإدخال يوسف السجن:

بعد أن شاع خبر راعيل بين الناس وافتضح أمرها، وبعد أن امتلأ قلبها غيظًا من يوسف لعدم استجابته لرغبتها المحرمة دبرت له مكيدة جديدة؛ وذلك بأن قالت لزوجها لتوغر صدره ضد يوسف -كما ذكر الطبري- (**إن هذا العبد قد فضحني بين الناس، يعتذر إليهم لخبرهم أنني راودته عن نفسه، ولست أطيق أن أعتذر بعذر، فإما أن تأذن لي أن أخرج إلىٰ الناس وأعتذر علنًا، وإما أن تحبسه كما حبستني في البيت**) فحبسه بعد علمه ببراءته، وعلم النسوة جميعًا ببراءته دفعًا للتهمة عن امرأته، فأهم شيء عند العزيز سمعته وهيبته أمام الناس فحسب.

وإذا عجز رجال البيوتات عن صيانة بيوتهن ونسائهن فإنهم ليسوا بعاجزين عن سجن فتىٰ بريء، كل جريمته أنه لم يستجب، وأن امرأة من الوسط الراقي قد فتنت به وشهرت بحبه ولاكت الألسن حديثها في الأوساط الشعبية.

هذه هي المرأة عندما تتجرد من الإيمان، تستطيع أن تلبس الحق بالباطل، ولكن صدق الإيمان يدعو صاحبه لأن يلهج بهذا الدعاء: (**اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه**).

امرأة العزيز تعترف بالحقيقة

مرت السنوات في السجن -حوالي سبع سنوات أو تسعة- ثم أظهر الله تعالىٰ براءة نبيه يوسف عليه السلام وبعد طول كتمان راعيل لما وسوس به الشيطان لها في نفسها من فعل سوء، وبعد كثرة مؤامراتها وكيدها ليوسف وخداعها لزوجها، ضاق صدرها بما تخفيه، وانهارت أمام انتشار خبرها بين الناس، ولم تعد تقوىٰ علىٰ الإنكار بعد اعتراف النسوة اللاتي قطعن أيديهن أمام الملك، وأخيرًا صحا ضميرها، واعترفت بكل شيء، وأكّدت صدق يوسف، وقالت راعيل لزوجها العزيز: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف:51] .

توبة امرأة العزيز:

الاعتراف بالخطأ والندم عليه هو أول خطوات التوبة وقد قالت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:53].

وبعد أن ظهر الحق، تبدلت الأحوال وعيّن الملك يوسف أمينًا علىٰ خزائن مصر وفوّض إليه أمر مصر، وعزل قطفير زوج راعيل عما كان عليه، وعين يوسف مكانه، ثم مات قطفير عن قريب فزوج الملك يوسف براعيل، فلما دخل عليها قال لها: (**أليس هذا خير مما كنت تريدين مني**) فقالت له: (**أيها الصديق إنها كانت وساوس الشيطان، وقد ندمت واعترفت بالحقيقة وتبت فسامحني**).

وهكذا فإن باب التوبة مفتوح أمام كل راعيل في كل عصر، وقد وصف الله لنا هذا النموذج المتكرر من النساء حتىٰ نأخذ منه العبرة ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:111].

خواطر وعبر:

وحتىٰ نتجنب وجود رواعيل في مجتمعنا علينا الآتي:

1- تربية البنات منذ نعومة أظافرهن علىٰ الصلة بالله، وخشيته في السر والعلن.

2- توجيه المجتمع إلىٰ محاربة التبرج والتبذل والاختلاط غير المنضبط.

3- تربية البنات علىٰ عدم الإفراط في التدليل (**اخشوشنوا فإن النعمة لاتدوم**).

4- تثقيف البنت وربطها بقضايا المجتمع ومشكلاته.

5- شغل وقت فراغ البنت فيما يفيد (**علم، عمل خيري، مهارة....**)

6- توجيه نظر العلماء إلىٰ توجيه خطابهم إلىٰ الطبقة الراقية في دعوتهم وأحاديثهم.

7- انتباه الأهل إلىٰ صديقات بناتهم؛ فالصحبة لها أثر بالغ في التأثير.

8- لفت نظر البنات لتجارب الأخريات؛ لأخذ العبرة من ذلك وكذلك تجارب من تكبرهن سنًا.

9- الاهتمام بالمرأة وتربيتها حتىٰ تستعمل مواهبها وطاقتها في الخير.

* * *

بلقيس ملكة
سبأ
(الملكة العاقلة)

بلقيس ملكة سبأ

(الملكة العاقلة)

المُلك والذكـاء:

هي ملكة من ملكات سبأ، وكانت الأرض تسمىٰ أرض صارب علىٰ بعد 3 أميال من صنعاء، وُلِّيت المُلك بعد موت أبيها الهدهاد بن حارث بن يعرب بن قحطان؛ وذلك في القرن 17 قبل البعثة.

وقد ساست قومها سياسة حكيمة، وأشاد القرآن بها وقصّ علينا طرفًا منها؛ لقد تميزت بالعقل الرشيد والذكاء النادر، فخضع الناس لحكمها وأسلموا لها قيادتهم.

ولقد قرأ النبي ﷺ علىٰ الناس في مكة سورة النمل، وقصَّ عليهم في هذة السورة قصة ملكة سبأ التي قادت قومها إلىٰ الإيمان والفلاح بحكمتها وذكائها؛ وقد أخبرنا الله تعالىٰ أنها ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل:23]، أي: كل ما يحتاج إليه الملوك لتدبير الملك وأنّ... **(لها عرش عظيم)** والعرش العظيم كما وصفه ابن كثير عبارة عن سرير عظيم تجلس عليه وطوله 80 ذراعًا، وعرضه 40 ذراعًا، وكان من ذهب مفصص بالياقوت الزبرجد واللؤلؤ، وكان لها من نساء الخدمة 600 امرأة[1].

كان عرشها في قصر عظيم مشيد رفيع البناء له 360 طاقة من مشرقه و من مغربه، وُضِع بناؤه علىٰ إن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب من مقابلتها فيسجدون لها صباح مساء.

كل ما يشين هذه المرأة هو أنها تسجد وقومها للشمس من دون الله، فلما جاء الهدهد بهذه المعلومات إلىٰ نبي الله سليمان عليه السلام أرسل معه رسالة موجزة في عباراتها إلىٰ هؤلاء القوم وملكتهم لكنها قويه في معناها، ونص هذه الرساله من القرآن: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [النمل:30،31].

وكانت بلقيس قارئة وكاتبة عربية..

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير 6/ 189.

فلما رأت الخاتم علمت أن الذي أرسل إليها الكتاب هو أقوىٰ وأعظم مُلكًا منها، وقد وصفت الكتاب أو الرسالة بأنه كريم؛ لأنه صدر (**بسم الله الرحمن الرحيم**)، ربما هز كيانها ذكر اسم الله عز وجل، وقد ذكر العلماء أنه لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ فاستعظمت الكتاب، واستشفت أن كاتبه يتكلم عن منطق القوه، وأنه حكيم؛ لأنه جمع كل ما أراده في جملتين:

الأولى: تنهاهم عن التعالي عليه.

الثانية: تأمرهم بالإتيان إليه مسلمين.

فالنهي قد حوىٰ الكثير والكثير من ألوان التهديد، والأمر حوىٰ الكثير والكثير من أنواع الهداية.

وفي هذا تبدو سمة الملكة الأريبة، فواضح منذ اللحظه الأولىٰ أنها أخذت بهذا الكتاب الذي ألقي إليها؛ حيث لا تعلم والذي يبدو فيه الحزم والاستعلاء، وقد نقلت هذا الأثر في نفوس الملأ من قومها وهي تصف الكتاب بأنه كريم، وواضح أنها لا تريد المقاومة والخصومة، ولكنها لا تقول هذا صراحة إنما تمهد له بذلك الوصف.

المشورة:

كان لدىٰ بلقيس مجلس شورىٰ مكون من 312 رجل، كل رجل منهم علىٰ عشرة آلاف رجل كما ذكر ابن كثير، وقد طلبت منهم المشورة في هذا الحدث الجلل، فقد اعتادت علىٰ ألا تأخذ قرارًا حتىٰ تستشيرهم، فلما قرأت عليهم الكتاب هاجوا وماجوا، وأكثرو من اللغط، فهدأت الملكة من روعهم بحكمتها وهدوئها، وطلبت منهم أن يفتوها في هذا الأمر، ولكنهم لم يكونوا أهلاً للمشورة، واغتروا بقوتهم وبأسهم، وكانوا يميلون إلىٰ الحرب أكثر من السلام، وأرجعوا الأمر إليها في النهايه دون أن يبدوا قرارًا واضحًا.

﴿ قَالُوا۟ نَحۡنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٖ وَأُو۟لُوا۟ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾ [النمل:33].

المرأة وسلاح الحيلة:

هنا ظهرت شخصية الملكة وهي امرأة تكره الحرب والتدمير وتفضل سلاح الحيلة.

وكان في رأيها الكثير من الحكمة إذ قررت استعمال الدبلوماسية، وذلك بإرسال هدية تلين القلب وتعلق الود، وقد تفلح في دفع القتال وهي تجربة، فإن قبلها سليمان

فهو إذا ملك من ملوك الدنيا يسهل أمره وإن لم يقبلها فهو لا يأبه بالمال وعرض الدنيا، فتكون بذلك قد عرفت حقيقه أمره.

لقد رفقت بالشعب عندما اتخذت قرار السلم والصلح، ولما ذهب الرسل بالهدايا إلىٰ سليمان عليه السلام أبهرهم ما رأوا من الملك والقوة التي تفوق ملكهم، فنقلوا ذلك إليها بالطبع....وكما أرجعوا الهدية التي رفضها النبي سليمان عليه السلام.

وأوحىٰ إليهم أنه قادم بجنود لا قبل لهم بها ولا طاقة، والملكة تعرف ذلك حق المعرفة، وتوقن أنها ستخوض حربًا غيوتكافئة فضلا ً ًعن أنها مالت بقلبها نحو الإيمان، وأدركت أنها لا بد أن تستجيب لداعي الإسلام وتدخل في دينه.

قصة العرش:

علم سليمان بعزمها عن طريق الوحي والإلهام فاستشار الملأ في الإتيان بعرشها، ويبدو أنه اتخذ ذلك وسيلة لعرض مظاهر القوة الخارقة التي تؤيده لتؤثر في قلب الملكة وتقودها إلىٰ الإيمان بالله والإذعان لدعوته.

ويعد الإتيان بالعرش شيئًا معجزًا للأسباب الآتية:

1- المسافه بين مكان بلقيس (**في اليمن**) ومكان سليمان في بيت المقدس تستغرق وقتا طويلا في نقل العرش، في حين أتىٰ به سليمان في طرفة عين.

2- لأن الملائكة وضعت العرش قبل أن تغادر بلدها تحت حراسة مشددة حتىٰ تحافظ عليه، فلما وصلت الملكة إلىٰ سليمان قال: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل:41]، ولعل هذا اختبار منه لذكائها وتعرفها عندما تفاجأ بالعرش وقد سبقها إليه.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ﴾ [النمل:42] فكانت مفاجأة ضخمه لا تخطر لملكة علىٰ بال، ولكن العرش عرش رغم التنكير والتغيير، ترىٰ تجيب بالنفي أم بالإثبات؟ فردت ردًا يدل علىٰ الفراسة وسرعة البديهة ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ [النمل:42]، إنه جواب ذكي لا ينفي ولا يثبت.

ثم شرح الله صدرها للإسلام فأسلمت.. ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [النمل:43]، وكان سليمان قد أعد للملكة مفاجأة أخرىٰ حيث دعاها إلىٰ دخول القصر وكان القصر مُمَرَّد (**أي أملس**) ومصنوع من القوارير (**أي الزجاج**)،

وتحت الزجاج الماء يجري وفوقه سرير الملك.....

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل:44] ووقفت الملكة مشدوهة أمام هذة العجائب التي تعجز البشر، فرجعت إلىٰ الله وناجته معترفة بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادةِ غيره، وأسلمت مع سليمان؛ لا لسليمان بل (**لله رب العالمين**).

إن الله تعالىٰ أشاد بما صنعته هذة الملكة، ولا يوجد في هذه القصة ما يشير إلىٰ خطأ القوم في توليتهم امرأة عليهم؛ وهذا لا ينافي قوامة الرجل في بيته.

وقد ذكرت كتب التاريخ أن عمر بن الخطاب ﷺ قد ولَّىٰ الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف قضاء الحسبة في سوق يشتمل علىٰ الرجال والنساء.

وماذا عن الحديث الذي رواه البخاري (**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**)(1)، فهذا الحديث إنما قيل في ظروف خاصة بأهل فارس؛ فقد تناهىٰ إلىٰ علم النبي ﷺ أن امرأة كانت تملكهم فتفشىٰ الفساد في الرعية وتوالت عليهم الهزائم من قِبَل الروم.

قال النبي ﷺ ما قال نعيًا علىٰ هؤلاء الذين لم يولوا منهم قائدًا ماهرًا ينقذ البلاد من هذه الهزائم المتوالية، وركنوا إلىٰ امرأة ليس لها من الأمر شيء، وليس لديها خبرة بتدبير شئون الملك والسياسة...... فأين هي بلقيس ملكة سبأ؟

ولو كانت مثلها لنجت هي وقومها من ضوائق الدهر...فقد قال الشيخ الغزالي في ذلك: «**ولو أن الأمر في فارس شورىٰ وكانت المرأة الحاكمة تشبه جولدامائير اليهودية التي حكمت إسرائيل واستبقت دفة الشئون العسكرية في أيدي قادتها لكان هناك تعليق آخر**»(2).

إن القصة ليست قصة أنوثة وذكورة؛ إنها قصة أخلاق ومواهب.

ملامح شخصية بلقيس:

1 – تقدر الآخرين وتعترف بقدراتهم رغم عظم شأنها وقوة ملكها؛ فإن الكبر وتسفيه الآخر هما أعدىٰ أعداء الحكمة.

2 – عدم الاعتداد بالرأي والاستبداد بالقرار، فالشورىٰ مصدر قوة الرأي وصوابه،

(1) الحديث رواه البخاري في صحيحه (4163)، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلىٰ كسرىٰ وقيصر، من حديث أبي بكرة ﷺ.

(2) انظر: كتاب السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث 1/ 36.

وكان هذا دأب بلقيس... ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل:32] وما خاب من استشار وما ندم من استخار.

3 – الشعور بالمسئولية تجاه الرعية، وقد بدا ذلك عندما قالت: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل:34] والنبي ﷺ يقول... (**والمرأة في بيتها راعية ومسئولة عن رعيتها**) فمن العقل أن تؤثر مصلحة الصغار وتتعالىٰ علىٰ سفاسف الأمور.

4–عدم الاستجابه للرأي المندفع الذي يحرض علىٰ الغضب أحيانًا، فقد قال لها قومها: (**نحن أولو قوة وأولو بأس شديد...**)[1] ولكنها لم تتأثر بذلك... وكثيرًا ما نرىٰ امرأة تستجيب لمن يوقع بينها وبين الآخرين.

5–اللين من خصائص الشخصية القوية، والهدية وسيلة بارعة في كسب الأشخاص، فحبذا لو استخدمتها المرأة في كسب زوجها وأهله، فالغلظة والشدة لا يكونان من الحكمة في كثير من الأحيان.

6– اللباقة في الرد وعدم الاندفاع (**قالت كأنه هو**) فكثيرًا ما تحدث مشكلات كبيرة للمرأه بسبب أسلوب حديثها أو كلماتها اللاذعة المتسرعة.

7– من العقل أنها قالت: (**أسلمت مع سليمان**) فقد فهمت منذ اللحظة الأولىٰ لإسلامها أن الإسلام يجعل المرء لا يُذل إلا لله.

امرأة بهذه العقليه لم تتكبر علىٰ سليمان؛ لأنها أذعنت لرب سليمان، وأيقنت أن الملك كله لله، وليس لأحد من البشر منه نصيب إلا بإذن الله.

وإذا أيقنت المرأة التي تطيع زوجها أنها تطيع ربها في الأصل فتصبح حياتهما أكثر سعادة

خواطر وعبر:

1) ذكر امرأة عظيمة مثل بلقيس في القرآن المكىٰ؛ وهىٰ في أوج ملكها وقمة حكمتها؛ لهو دلالة علىٰ صدع القرآن – في مهد الدعوة الإسلامية بقيمة المرأة وعظمتها في عصر كانت تعد المرأة فيه أقل قيمة من الحيوان؛ بل والجماد.

2) في ذكر خبر بلقيس في القرأن إشارة إلىٰ جواز تولىٰ المرأة المناصب العليا في الحكم؛ بشرط استحقاقها لذلك؛ وكفاءتها التي قد تفوق كفاءة الرجال

3) العقل هبة الله تعالىٰ، والحكمة رزقه الوافر عندما تهدىٰ إلىٰ الإيمان.

---

(1) البخاري في صحيحه (2278)، باب العبد راع في مال سيده، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ناعسة زوجة
أيوب عليه السلام

(الزوجة الوفية)

ناعسة زوجة أيوب عليه السلام

(الزوجة الوفية)

من هي زوجة أيوب عليه السلام ؟

يقال: إن اسمها كان ناعسة، ويقال: ربحة، وذكر القرطبي أن اسمها كان ليا، وأنها كانت ابنة يعقوب عليه السلام.

كانت امرأة شديدة الجمال حسنة الخلق حليمة وهادئة الطبع.

حياتها مع زوجها:

عاشت مع زوجها أيوب عليه السلام وقد أنعم الله تعالىٰ عليهما فبسط عليهما الدنيا حيث كان أيوب عليه السلام يمتلك أراضٍ واسعة في الشام، وكان له من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة، وقد أنعم الله عليه بالمال والولد، وأسبغ عليه من الصحة والعافية.

الابتلاء:

يذكر القرطبي أن إبليس -لعنه الله- سمع تجاوب الملائكة بالصلاة، وذلك حينما ذكره الله تعالىٰ وأثنىٰ عليه فأدركه الحسد، فسأل الله تعالىٰ أن يسلطه عليه ليفتنه ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴾ [ص:41] ، فابتلاه الله تعالىٰ بفقد ماله وأولاده كلهم، ثم ابتلاه بالمرض الشديد حتىٰ أنتن جسده، وخرج في مكان خارج القرية، وأصبح لا يقربه أحد إلا زوجته -لعله كان لديه مرض جلدي بالإضافة إلىٰ أمراض باطنية.

لقد ابتلاه الله تعالىٰ من الضر في ماله وجسده وولده حتىٰ لم يبقَ من جسده مغرز إبرة سليمًا سوىٰ قلبه، ولم يبقَ له من الدنيا شيء يستعين به علىٰ مرضه وما هو فيه، غير إن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالىٰ ورسوله، فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحو 18 سنة.

وكانت لا تفارقه صباحًا ولا مساء إلا بسبب خدمة الناس.

كان هذا الابتلاء لحكمة يعلمها الله، وليتعظ الناس ويعتبروا بأن النعمة لا تدوم، وليبتلي الله عباده، فيعلم الشكور للنعمة والصابر علىٰ زوالها وعند الشدة، فقد ابتلي هو وزوجته بجميع أنواع الابتلاءات، ففقد الولد وزوال الصحة وضياع المال.

بل إن بلاءً واحدًا من هذه الابتلاءات لينوء بحمله الرجال والنساء.

الزوجة الوفية:

ظلت بجانبه تحثه علىٰ الصبر وتخفف عنه آلام المرض وترفع من روحه المعنوية وتخدمه وتحمد الله معه، وهو لا يفتر عن ذكر الله تعالىٰ.

عمل الزوجة:

كانت تسعىٰ للحصول علىٰ رزقها ورزق زوجها بكفاحها وعرق جبينها، كانت تعمل في أقسىٰ الأعمال وأشقها التي كانت لا تتناسب مع مكانتها السابقة، حيث كانت غارقة في العز والنعيم.

وقد ألجأتها الحاجة يومًا إلىٰ أن تجذ شعرها وتبيعه للحصول علىٰ طعام بثمنه لزوجها.

فتنة الزوجة:

تعرضت ناعسة الجميلة لمضايقات الكثيرين وإغرائهم لها بالمال والهدايا الثمينة، ولكنها كانت عفيفة شريفة وحرة تردهم في عزم وصرامة، وقد عرض أحد الرجال الأثرياء الأقوياء- ممن يتمتعون بنفوذ قوي وجاه وسطوة- الزواج علىٰ ناعسة وتركها لأيوب المبتلىٰ، ولكنها صدته في عنف، ورفضت هذا العرض السخي، وفضلت الوفاء لزوجها.

إشارة القرآن إلى زوجة أيوب تكريمًا لها على وفائها:

وقد أشار القرآن إلىٰ هذا الموقف الذي حدث بينها وبين زوجها أيوب عليه السلام عندما غضب منها لشيء ما، يقال: لأنها باعت شعرها، ويقال: لأنها اشتد بها الضيق ذات مرة فقالت لزوجها...(**إلىٰ متىٰ يعذبك ربك ولا يرحمك**)

فغضب أيوب لذلك، واعتبره اعتراضًا علىٰ قضاء الله، وأقسم بالله لئن شفاه الله ليجلدنها 100 جلدة، ويقال: إنه قد طردها وخاصمها، ولكنها عادت إليه رغم ذلك ولم تتخلّ عنه، فعادت تنادي عليه بلهفةٍ خشية أن يكون قد أكلته السباع.

لا أدري هل تسامح المرأة زوجها إن غضب عليها في مرضه؟

هل ترؤف لحاله وتسامحه وتلتمس له العذر أم تغضب وتتركه في حالته؟

لم تفعل ذلك ناعسة...لذلك أكرمها الله عندما أوحىٰ إلىٰ أيوب بأن يأخذ ضغثًا (**شمراخ فيه مائة فرع**) فيضربها به ضربة خفيفة حتىٰ لا يؤذيها، وفي نفس الوقت يكون قد أبر بقسمه، فانظر إلىٰ رحمة الله بهذه السيدة، فما كان جزاؤها بعد هذة الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب، وذلك تكريمًا لها علىٰ صبرها بذكر ذلك الموقف في القرآن الذي يتلىٰ إلىٰ يوم القيامة، فقد قال تعالىٰ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص:44] .

رفع البلاء وفرحة الزوجين:

لما رأى أيوب نفسه وحيدًا بعد أن طرد امرأته وأحس بالعجز التام فنادى ربه في تأدب ولطف: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [الأنبياء:83]، فأجابه الله تعالى: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص:42].

يذكر ابن كثير أن الله أُمر أيوبًا - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أن يركض الأرض برجله ففعل، فأنبع الله له عينًا، وأمره إن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان في جسده من الأذىٰ - لعل هذه عين من العيون الكبريتية الموجودة في مصر والتي تستخدم للاستشفاء.

ثم أمره فضرب الأرض في مكان آخر فأنبع له عينًا أخرىٰ، وأمره أن يشرب منها فأذهبت جميع ما في بطنه من سوء، وتكاملت فيه العافية ظاهرًا وباطنًا.

ولما رأته زوجته لم تعرفه، فلما أخبرها بالحال كانت الفرحة غامرةً وحمدا الله تعالىٰ حمدًا كثيرًا وعرفا فضله ومنته.

ذكر ابن كثير ما رواه البخاري عن رسول الله ﷺ: بينما أيوب يغتسل عريانًا خر عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ يحنو في ثوبه فناداه ربه عز وجل أن يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترىٰ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ بلىٰ يا رب ولكن لا غنىٰ بي عن بركتك[1].

وفي ذلك معنىٰ حب الله تعالىٰ وابتغاء بركته لا ابتغاء المال والدنيا، وعن أبنائه (**ووهبنا له أهله ومثلهم معهم**).

قال قتاده أحياهم الله تعالىٰ له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم.

---

(1) البخاري في صحيحه (3211)، كتاب الأنبياء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ملامح الشخصية:

هىٰ امرأة شديدة الجمال ، حسنة الخلق ، هادئة الطبع ، شديدة الحب والحب والوفاء لزوجها ، مطيعة مخلصة له.

خواطر وعبر:

❋ حب الزوجة لزوجها وطاعتها له يفتح لها ولبيتها باب السعادة في الدنيا والآخرة.

❋ الوفاء والاخلاص ثمرتان طبيعيتان للحب والود بينهما ،مع حسن الخلق ، والطاعة في غير معصية لله تعالىٰ.

❋ ❋ ❋

يوكابد – أم موسى

(الأم القدوة)

يوكابد – أم موسى
(الأم القدوة)

هي: يوكابد بنت هاند بن لاوي بن يعقوب عليه السلام كما هو مشهور في كتب التاريخ والسير.

كرمها الله تعالىٰ بأن أشار إليها في القرآن وقص علينا طرفـاً من سيرتها في سياق قصة ولدها موسىٰ عليه السلام ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ...﴾ [طه:38،39].

فقد ألقىٰ الله تعالىٰ في روعها وألهمها بالتصرف السليم الذي تنجىٰ به ولدها من زبانية فرعون؛ حيث أمر فرعون ببني اسرائيل ألا يولد فيهم غلام إلا ذبحوه ولم يكن ذلك التصرف مجرد فكرة يصحبها القلق والخوف وإنما أرشدها الله تعالىٰ لما يطمئن به قلبها فأوحىٰ إليها:-

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص:7].

فكان ذلك التصرف ضرباً من التوكل علىٰ الله والثقة في قضائه؛ حيث إن الله تعالىٰ وعدها أنه سيعيده إليها سالماً لم يمسسه سوء وبشرها بأنه سيكبر في حجرها ويبلغ مبلغ الرجال ثم يجعل نبياً مرسلاً ويا له من وعد كريم.

أم ترى ولدها في اليم

ظلت أم موسىٰ ترضع ولدها مدة فلما أدركها الخطر ورأت زبانية فرعون مقبلين فأسرعت بأن وضعته في تابوت محكم كانت قد أعدته له من قبل وألقته فيه كما أمرها ربها عز وجل وقذفته في اليم بعد ما ربطته بحبل رفيع حتىٰ تستطيع أن ترده إليها إذا زال الخطر وفي أحد المرات أفلت الحبل وانقطع فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرىٰ حتىٰ أدخله بين أشجار بيت فرعون فخرجت جواري **(آسية)** امرأة

فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلته إلىٰ آسية وظنن أن فيه مالاً فلما فتحته آسية وجدت فيه وليداً بهي الطلعة مستنير الوجه فرحت به فرحاً شديداً وقالت:- موشىٰ..موشىٰ ومعناها في لغة عصرهم:- الوليد فاشتهر بهذا الاسم واستطاعت آسية أن تقنع فرعون ألا يقتله وأن يتربىٰ في قصره.

قلب الأم:

وأما أم موسىٰ فإنها قد أصبح قلبها خالياً من كل شيء إلا من وليدها، ولقد كادت تفقد وعيها وتظهر أنه وليدها وتستغيث بمن يأتيها به ويستخلصه باللين أو بالشدة من أيدي أولئك الفجار؛ غير أن الله عز وجل ثبت قلبها وقوىٰ عزمها علىٰ الصبر والاحتساب وذكرها بما وعدها به..

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص:10] .

عندها التزمت جانب الحكمة وأخذت بالأسباب واستعانت بالله علىٰ تحقيق المطلب – وهو شأن المتوكلين- فأرسلت أخته كلثم أو مريم لتبصر حاله في قصر فرعون من بعيد خوفاً عليها من بطشهم ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص:11] .

ولكي لا يشكوا في أمرها فيحملوها بالقوة علىٰ الاعتراف بأنه أخوها فيقتلوه ويقتلوها.

أخت موسى اللبيبة الذكية:

انطلقت كلثم تتبع أثر أخيها فاتخذت لها جانباً من جوانب القصر بعيداً عن الشك والتهمة فبصرت به وعرفت أن امرأة فرعون جاءت له بمرضعات كثيرات، فأبىٰ أن يتناول ثدي أي واحدة منهن..

وهنا تدخلت تنصح لهم فقالت: هل أدلكم علىٰ أهل بيت يحسنون كفالته ويكرمون مثواه ويقومون بشأنه كله خير قيام؟

فقبلوا منها هذا النصح بعد أن استوثقوا من صدقها وأيقنوا أنها لا تعرف الوليد وليس لها به صلة فدلتهم علىٰ أمه، فأرسلوا إليها وهم لا يشعرون بأنها أمه، وقدموا

لها الوليد لترضعه فتناول ثديها وامتصه بسهولة ويسر ففرحوا بذلك فرحـًا شديداً

وعد اللّه يتحقق:

وقالت امرأة فرعون لها: اسكني معنا في هذا القصر لترضعي هذا الوليد فاعتذرت بأنها لا تستطيع أن تعيش معهم في هذا القصر، ولها زوج وأولاد وطلبت منهم أن تصحبه إلىٰ بيتها فأجابوها إلىٰ طلبها وأرسلوه معها وأغدقوا عليها وأوسعوا لها العطاء وعاش الوليد مع أمه في أمن ورخاء حتىٰ لقيت ربها عز وجل

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ....﴾

[القصص:13] .

ملامح الشخصية:

هي امرأة سليمة القلب، شفافة الروح، جياشة العاطفة، حنون علىٰ ولدها، قد عرفت ربها حق المعرفة وتوكلت عليه حق التوكل فألهمها رشدها وآتاها تقواها وأكرمها غاية الإكرام.

خواطر وعبر:

* إذا كانت أم موسىٰ أمـًا ملهمة، فإن أي أم تستطيع أن تشعر بأبنائها وقلبها يحدثها بأحوالهم وظروفهم إذا كانت فطرتها سليمة وكانت موصولة بالله تعالىٰ تهتم بأبنائها، وتدعو لهم، وتحرص عليهم وترجو هداهم.

* عاطفة الأمومة آية من آيات الله خلقها الله في قلب كل أنثىٰ فينبغي ألا تخفي الأم عاطفتها عن أبنائها بل تبديها لهم ليتمتعوا بها ولتؤتي ثمرتها في تربيتهم وتؤدي دورها في إصلاحهم وتهذيبهم.

*رفع الله تعالىٰ شأن الأم وأعلىٰ قيمتها بذكرها في القرآن الكريم وضرب لنا مثلاً للأم المثالية العظيمة(**أم موسىٰ**) لنقتدي بها وذكرها في القرآن هو تكريم لكل أم تحنو علىٰ أبنائها وترعاهم حق رعايتهم.

* تعتز الأم بأبنائها وتفخر بهم وتحس بنجاحها عندما تراهم شبابـًا صالحين ومصلحين وها هي أم موسىٰ قد نجحت نجاحـًا باهرًا فهي التي ربت النبيين العظيمين موسىٰ وهارون اللذان ساهما في تغيير وجه الأرض ونشرا فيها الإيمان والتوحيد.

❋ كذا نجحت في تربية الابنة كلثم (**أو مريم**) علىٰ خفة الحركة وسرعة البديهة وحسن التصرف والشعور بالمسئولية.

❋ إذا كان الله تعالىٰ قد ربط علىٰ قلب أم موسىٰ لتكون من المؤمنين فعلىٰ كل أم أن تتقرب إلىٰ الله تعالىٰ وتسأله رضاه لتحظىٰ بذلك الفضل وهذه المنة فيربط الله تعالىٰ علىٰ قلبها إذا رأت ابنها في مرض أو شدة أو يسقط شهيداً أو تبتلىٰ بفقده، فالقوة والصبر منحة الله تعالىٰ.

❋ فساد المجتمع يؤثر لا محالة في الأبناء مما يجعل الأم تدافع وتناضل لإصلاح أولادها وتشعر أنها تسير بهم ضد التيار ولقد كان هذا هو شأن أم موسىٰ إذ نشأت أبنائها نشأة سوية رغم فساد المجتمع من حولها فقد أدىٰ ظلم فرعون وطغيانه إلىٰ فساد بني اسرائيل وسلبيتهم وأنانيتهم وتغير فطرتهم السوية الأبية في حين نشأت أم موسىٰ أبنائها علىٰ الإيجابية ورفض الظلم والاستبداد وتغيير المنكر بكل وسائله وربتهم علىٰ الإيمان بالله وحسن التوكل عليه.

❋ **وإذا أخذت كل أم (أم موسىٰ) مثالاً تحتذي به فعليها بالآتي:-**

- حسن التوكل علىٰ الله في تربية الأبناء والدعاء المستمر لهم
- الأخذ بجميع أسباب إصلاح الأبناء وحمايتهم من الفساد
- الثقة فيما عند الله تعالىٰ
- إشباع حاجة الأبناء إلىٰ الحب والحنان بما لدىٰ الأم من عاطفة الأمومة.

❋ ❋ ❋

صفورا (امرأة موسى)

(الفتاة المثالية)

صفورا (امرأة موسى)

(الفتاة المثالية)

من هي؟

هي صفورا بنت شعيب بن نوفل بن مدين وهي الفتاة الحيية الأريبة صاحبة الطهر والاحتشام والتي ارتضاها الله تعالىٰ خليلة لكليمه موسىٰ عليه السلام.

كانت صفورا تعمل وأختها برعي الأغنام حيث أن أباهما كان شيخًا كبيرًا لا يقوىٰ علىٰ العمل فكانت وأختها تعانيان من رعي الغنم، ومن مزاحمة الرجال علىٰ الماء حين تذهبان لسقي الغنم من البئر، وتتأذيان من الاحتكاك الذي لابد منه لكل من تزاول أعمال الرجال.

مروءة نادرة:

وفي أحد الأيام ذهبت صفورا وأختها لسقي الغنم وكعادتهما كانتا تمنعان غنمهما عن ورود الماء فلا تسقيان حتىٰ يسقىٰ الرعاء من الرجال وينتهي الزحام.

وإذا برجل طويل، ضخم البنية، حافي القدمين، غريب عن المدينة يبدو عليه إعياء السفر يقدم بالقرب من الماء فلما رآهما نظر إليهما متعجبًا.. إذ إن الأولىٰ عند ذوي المروءة أن تسقي المرأتان وتصدرا أغنامهما أولاً وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما؛ فتقدم إليهما ليسألهما عن أمرهم الغريب

(قال: ما خطبكما؟ قالتا: لا نسقي حتىٰ يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير)

فأطلعتاه علىٰ سبب انزوائهما وتأخرهما وذودهما لغنمهما عن الورود، فثارت نخوة موسىٰ عليه السلام ولم يسترح المسافر المنهك المكدود، بل تقدم ليسقي المرأتين أولاً كما يجب أن يفعل الرجال ذوو الشهامة وهو غريب في أرض لا يعرفها ولا سند له فيها ولا ظهير وهو متعب قادم من سفر طويل بلا زاد ولا استعداد ولكن هذا كله لا يقعد به عن تلبية دواعي المروءة والنجدة والمعروف **(فسقىٰ لهما)** مما يشهد بنبل هذه النفس التي صنعت علىٰ عين الله، كما يشي بقوته التي ترهب حتىٰ وهو في إعياء

السفر الطويل، ولعلها قوة نفسه التي أوقعت في قلوب الرعاة رهبته أكثر من قوة جسمه.

دعوة كرم وإحسان

انصرفت الفتاتان وتول موسىٰ إلىٰ الظل ليستريح من حرارة الشمس يدعو ربه ويناجيه، وإذا بإحداهما تعود إلىٰ موسىٰ لتقدم له دعوة من أبيها لاستضافته وإيوائه وإكرامه ليجزيه أجر ما سقىٰ لهما وأحسن إليهما.

وقد وصف القرآن حالة الفتاة **(صفورا)** كأننا نراها رأي العين فقال:

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:25] ، فالفتاة تمشي علىٰ استحياء مشية الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقىٰ الرجال، حيث لا تبذل ولا تبرج ولا إغواء – جاءته تبلغه الدعوة في أقصر لفظ وأدله.. فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح لا تلجلج ولا تعثر ولا ربكة، فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم لكنها لثقتها بطهارتها لا تضطرب إنما تتحدث في وضوح بالقدر المطلوب ولا تزيد.

وقال الآلوسي في تفسير هذه الآية: أنها أسندت الدعوة إلىٰ أبيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة فيه من الدلالة علىٰ كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفىٰ

وتابع **(الآلوسي)**.. أن موسىٰ إنما أجاب المستدعية من غير تلعثم وليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر برأيه، لا طمعاً بما صرحت به من الأجر.

لقاء موسى عليه السلام بالشيخ

وأخرج ابن عساكر عن أبي حازم قال: « لما دخل موسىٰ علىٰ شعيب إذا هو بالعشاء فقال له شعيب: كل

قال موسىٰ: أعوذ بالله تعالىٰ

قال: ولِمَ؟ ألست جائع؟

قال: بلىٰ ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وإنا من أهل البيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً

قال: لا والله ولكنها عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس

موسىٰ فأكل.

يقـــول تعـــالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص:25] ، فقد كان موسىٰ في حاجة إلىٰ الأمن، كما كان في حاجة إلىٰ الطعام والشراب، فأعطاه الشيخ الوقور الأمان وألقىٰ في قلبه الطمأنينة وذكر له ألا سلطان لهم علىٰ مدين فلن يصلوا لمن فيها بأذىٰ أو ضرر.

الزواج المبارك:

رأت صفورا من قوة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يهابه الرعاة فيفسحون له الطريق ويسقي لهما وهو غريب، والغريب ضعيف مهما اشتد، كذلك رأت من أمانته ما يجعله عف اللسان والنظر حين توجهت لدعوته مما جعلها تشير علىٰ أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك، وهو قوي علىٰ العمل، أمين علىٰ المال، فالأمين علىٰ العرض هكذا أمين علىٰ ما سواه، وهي لا تتلعثم في هذه الإشارة ولا تضطرب ولا تخشىٰ سوء الظن والتعمة فهي بريئة النفس نظيفة.. الخ

﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص:26]

واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته ولعله أحس من نفس الفتاة ونفس موسىٰ ثقة متبادلة، وميلاً فطريـًا سليمًا صالحـًا لبناء أسرة.

والقوة والأمانة حين تجتمعان في رجل لا شك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة التي لم تفسد ولم تلوث ولم تنحرف عن فطرة الله، فجمع الرجل بين الغايتين فعرض علىٰ موسىٰ أن يزوجه إحدىٰ ابنتيه في مقابل أن يخدمه ويرعىٰ ماشيته ثماني سنوات فإن زادها إلىٰ عشر فهو تفضل منه لا يلزم به

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [القصص:27].

وهكذا عرض الشيخ ابنته علىٰ الرجل في غير تحرج ولا إلتواء فهو يعرض نكاحـًا لا يخجل منه.

والتصنع والتكلف مما يشاهد في البيئة التي تنحرف عن سواء الفطرة وتخضع

لتقاليد مصطنعة باطلة سخيفة تمنع الوالد أو ولي الأمر من التقدم لمن يرتضي خلقه ودينه، وتجعل من غير اللائق أن يجيء العرض من الناحية التي فيها المرأة.

في حين أن هذه البيئة المنحرفة تسمح بلقاء الفتيان والفتيات واختلاطهم وتكشف بعضهم لبعض في غير خطبة أو نكاح فأما حينما يذكر النكاح فيهبط الخجل المصطنع وتمتنع المصارحة والبساطة.

فقد عرض الشيخ علىٰ موسىٰ ذلك العرض ووعده ألا يشق عليه ولا يتعبه في العمل راجياً بمشيئة الله أن يجده من الصالحين في معاملته ووفائه.

وقبل موسىٰ العرض وأمضىٰ العقد في وضوح ودقة.

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[القصص:28].

وقد أتم موسىٰ السنوات العشر علىٰ أكمل وجه وعاش هذه السنوات آمناً مطمئناً سعيداً بزوجته صفورا ذات الخلق والآدب.

وكانت صفورا لا تألوا جهداً في إسعاد زوجها، تطيعه إذا أمرها وتنتهي عن كل ما ينهاها، وتجعل رضاه مقدماً علىٰ رضاها.

رحلة العودة إلى مصر:

لما وفىٰ موسىٰ عليه السلام بالأجل الأتم وهو عش سنوات انطلق مع زوجه الحامل صفورا إلىٰ مصر بعد أن ودع حماه وكان زواجه قد أثمر ولدين خلال الأجل المشروط.

كانت الرحلة شاقة مجهدة صبرت فيها صفورا مع زوجها وتحملت فراق أهلها لتشارك زوجها رحلة جهاده حيث أرسله الله تعالىٰ إلىٰ فرعون فكانت معه تقف بجواره تؤازره وتسانده في أرض الكنانة مصر، فرضي الله عنها وأرضاها.

خواطر وعبر:

1- تبين لنا القصة مسألة خروج المرأة واختلاطها بالرجال في ظل الضوابط الشرعية.

2- خروج المرأة للعمل من أجل تحقيق الذات وهمٌ يتصوره البعض، فتحقيق الذات يكون داخل البيت وخارجه، ومن تفشل داخل بيتها تفشل خارجه .

3- ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:23]. خرج الفتاتان ولم تتكاسلا ولم تستسلما للظروف التي أحاطت بهما.

4- لم تمانع الفتاتان في الرد علىٰ موسىٰ عليه السلام عندما سألهما **(ما خطبكما)** فلم تتردد إحداهما أو تتلجلج بحجة أنها لم تتعود مخاطبة الرجال، ولكن الرد كان فيه ثقة بالنفس مع الاحترام والأدب الجم.

5- مشية الفرد تدل علىٰ طبيعة شخصيته، فهناك مشية فيها كبر وفخر وأخرىٰ بها تواضع وإيمان، هناك مشية تدل علىٰ الميوعة والتبذل وأخرىٰ تنم عن الحياء والأدب والتقوىٰ، وقد حرص القرآن دائمًا علىٰ وصف مشية المؤمن ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:63]، وها هو يخص المرأة في مشيتها وتكون صفورا هي المثل الأعلىٰ لبنات العصر، فليتقين الله في مشيتهن، ولتنتبه كل منهن أن مشيتها تفضح ما في داخل نفسها.

6- كانت صفورا ذات عقل وحكمة، ولها نظرة ثاقبة، فقد فهمت من أدب موسىٰ - عليه السلام - أنه شخص محترم، فسمحت له بمساعدتهن، ثم وصفته بعد ذلك لأبيها بأنه قوي أمين، فيا لها من ذكية أريبة شديدة الملاحظة.

7- البنت الصالحة تكون صريحة مع أبويها، قريبة منهما، فقد أبدت صفورا لأبيها إعجابها بموسىٰ دون تخوف بكل جرأة وشجاعة وأدب وصراحة.

8- وقد تفهم الأب الموقف سريعًا ، وقام بواجبه تجاه ابنته؛ رغم أنها لم تلوح بالزواج؛ فما أجمله من تقارب وتفاهم بين الأب وبناته ، وما أحوج بنات اليوم إلىٰ آبائهن.

9- كانت صفورا تعيش مشكلات البيت، وتبحث عن حلول مناسبة واستئجار موسىٰ كان وجهة نظر صائبة احترمها الأب وسارع في تنفيذها فهي شخصية مسئولة.

10- لا مانع من أن يعرّض الأب لخطبة ابنته في عزة لا انكسار فيها ولا استعطاف.

11- يفكر الاب في إمكانيات الخطيب العقلية والخلقية، وقد يتغاضىٰ قليلاً عن الإمكانيات المادية، طالما لمس فيه التقوىٰ والصلاح والقدرة علىٰ الكسب والإنفاق.

12 - تصرف الأب كان حكيمًا، حيث استأجر موسىٰ ثمان سنوات، فهو لا يعطىٰ ابنته مجانًا، كما أن هناك مرونة في الاتفاق (**فإن أتممت عشرًا فمن عندك**) وهناك كرم ونبل أخلاق من موسىٰ عليه السلام فقد قضىٰ السنوات العشر كاملة.

13 -وقد اطمأنّ الأب الكريم إلىٰ نبل وصدق زوج ابنته خلال السنوات العشر، فلتذهب إذن معه في أي مكان يتوجه إليه.

14 - شاركت صفورا زوجها في رحلة عمره الشاقة الطويلة، والتي بدأت برحيله إلىٰ مصر – وكانت حاملاً – ووقفت بجانبه، وعاشت معه لحظات البعثة والتكاليف والأحمال الثقيلة، كذا عاشت معه لحظات القرب والود؛ حيث كلم رب العالمين، وقد أشار إليها القرآن علىٰ أنها الأهل كلهم (**ولما سار بأهله**) فآمنت به وصدقته، وأكملت معه مشوار الكفاح مع فرعون، ثم خرجت معه من مصر.

ونتوقع أن تكون قد انضمت إلىٰ الأسرة الكريمة وأصبحت فردًا من أفرادها، وجزءا منها لا يتجزأ.

وهكذا كافحت وناضلت وكانت غربتها في سبيل الله.

* * *

آسية بنت مزاحم امرأة عرفت الحب..

آسية بنت مزاحم

«امرأة عرفت الحب»

هي امرأة فرعون التي تحدث عنها القرآن، كان أبوها ملكًا لمصرَ في عهد يوسف عليه السلام ، وهي امرأة رمسيس الثاني الذي تولىٰ حكم مصر سنة 1290 قبل الميلاد، وكانت صالحةً تدين بدين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف، وكانت تسمىٰ في عصرها (**إيست نفرت**)، لكن الرسول ﷺ سماها آسية، وذكرها من خير نساءِ العالمين.

كانت آسية مؤمنة مخلصة، تعبد الله سرًّا، حتىٰ أنها كانت تتعلل لقضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في مئزرها خوفًا من فرعون.

نشأت آسيا وعاشت في بيئة القصور والترف، حيث المتاع والزينة وصحبة علية القوم، وكل ما حولها يدعو إلىٰ الشهوة والمتعة، ولكن الله تعالىٰ جعلها كالشجرة في وسط الهشيم، وكالسراج في دياجير الظلام.

اختارها الله لينصر بها دينه:

الذين يهتدون يزيدهم الله هدىً، والثابتون علىٰ الحق يستعملهم ربهم لنصرة دينه حتىٰ يكونوا من أهلهِ وخاصته؛ وقد اختار الله آسية وجعلها اليد الحانية والأم الرؤوف التي تحفظ نبيّه موسىٰ عليه السلام من بطش الظالمين.

ولمّا ألقت أم موسىٰ ابنها في النهر انتهىٰ به الماء حتّىٰ فوَّهةِ النهر، حيث تستقي جواري امرأة فرعون؛ فلما رأينَ الصندوق أخذنه وهممن أن يفتحنَهُ، وظننَّ إن به مالًا، فقالت بعضهنَّ...إنا إن فتحناهُ لن تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه، فحملنه كهيئته حتىٰ دفعنهُ إليها؛ فلما فتحته رأت فيه غلامًا، فألقىٰ الله محبته في قلبها، فأحبته كما لم تحبَّ أحدًا من قبل قط، فلما سمع الذبّاحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلىٰ امرأة فرعون ليذبحوه فقالت لهم: أقروه؛ فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل حتَّىٰ آتِي فرعون فأستوهبهُ منه، فإن وهبه مني كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألُمكُم...فأتت فرعون فقالت... (**قُرَّةُ عينٍ لي ولك**)، فقال فرعون...يكون ذلك لك،

فأما لي فلا حاجة لي فيه؛ فقال رسول الله ﷺ... **(والذي يُحلفُ به، لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها، ولكن حرمهُ من ذلك)**[1].

ثم أخذت آسيا برعاية موسىٰ بكل حب وحنان، فأرسلت لتبحث له عن مُرضعة.. فما إن وجدت المرضعة **(وهي أمه)** حتىٰ استبشرت، وأرسلت إليها لتمكث في القصر، ولكن المرضعة رفضت ذلك، وأخذته معها إلىٰ بيتها، وكانت آسية ترسل إليها الأموال والهدايا والعطايا.

ولما ترعرع موسىٰ قالت امرأة فرعون لأم موسىٰ.. أريني ابني فوعدتها يومًا تريها إياه فيه، فقالت لخزانها... لا يبقينَّ أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة لأرىٰ ذلك فيه، ثم أتت به فرعون ليكرمهُ، فلما دخلت به جعله في حجره، فتناول موسىٰ لحية فرعون فمدها إلىٰ الأرض؛ فقال أعداء الله لفرعون.. ألا تراه يعلوك ويصرعك، فأرسل للذبَّاحين ليذبحوه؛ فجاءت امرأة فرعون تسعىٰ لفرعون فقالت: اجعل بيني وبينك أمرًا تعرف به الحق.. فأتِ بجمرتين ولؤلؤتين، فقربهن إليه فإن بطش باللؤلؤتين وتجنب الجمرتين عرفت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين عرفت أنه عاقل، فقرب إليه فتناول الجمرتين فانتزعهما منه مخافة إن تحرقا يده... فقالت المرأة...ألا ترىٰ؟ وصرفه الله عنه بعدما كان قد همَّ به وكان الله بالغًا فيه أمره.

وهكذا استطاعت آسية حماية موسىٰ بذكائها ودهائها رغم بطش فرعون وجبروته إلىٰ أن استوىٰ وبلغ أشده، وأرسله الله بالرسالة.

موقفها من دعوة موسى:

عندما ظهر الحق وأيَّد الله موسىٰ بمعجزة العصا، وخرَّ السحرة سجدًا لله رب العالمين آمنت امرأة امرأة، وكانت عند لقاء موسىٰ بفرعون بارزة مبتذلة، تدعو الله بالنصر لموسىٰ علىٰ فرعون وأشياعه، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها ابتذلت للشفقة علىٰ فرعون وأشياعه، وإنما كان حزنها وهمتها لموسىٰ.

ولما قتل فرعون ماشطة ابنته؛ كانت آسية تنظر من كوةٍ في قصر فرعون تنظر إلىٰ الماشطة كيف تعذب وتقتل وهي صابرة ومتمسكة بإيمانها بربها! فبينما هي كذلك إذ دخل عليها فرعون، وجعل يخبرها في شماتةٍ وزهو بخبر ماشطة ابنته، وكيف قام

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير 5/ 286.

بتعذيبها وقتلها، فقالت له: ويل لك، ما أجرأك علىٰ الله! فقال في غضب: لعلك اعتراك الجنون الذي اعترىٰ صاحبتك، قالت في حزم: ما اعتراني جنون، ولكني آمنت بالله ربي وربك رب العالمين.

ثم هددها فرعون الطاغية، وخيَّرها بين إيمانها والعذاب، وخافت عليها أمها وألحّت عليها بالموافقة علىٰ عرض فرعون فأبت، فأمر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد، وأمر فرعون بربطها بالحبال ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ [الفجر:10،11]، واستقبل بها الشمس، وأضجعها علىٰ ظهرها، ووضع رحىً علىٰ صدرها، وعذبها فرعون عذابًا شديدًا ورهيبًا حتىٰ ماتت.

وكانت تدعو ربها وهي في العذاب.... ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم:11].

قال العلماء: (اختارت الجار قبل الدار)، وقال الكشاف: (**طلبت القرب من رحمة الله والبعد عن عذاب أعدائه، وبينت مكان القرب بقولها: في الجنة، أو أرادت ارتفاعًا في الجنة، وتكون جنتها من الجنات التي هي أقرب إلىٰ العرش، وهي جنات المأوىٰ**)[1].

* وكلمة (**عند**) هي ظرف مكان، أو عادة يأتي في آخر الجملة، ولكنه هنا تقدم لأهميته، فقد اختارت القرب من الله قبل اختيار الجنة.

* قيل: إنها لما دعت بهذا الدعاء أراها الله بيتها في الجنة، ونسيت ما هي فيه من العذاب؛ فضحكت فقالوا: هي مجنونة، تضحك وهي في العذاب، فقبض الله روحها في الجنة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، إنها امرأة عرفت أين الحب، فاختارت جوار الحبيب.

ملامح الشخصية:

- الرقة والحس المرهف الذي دعاها إلىٰ سرعة الاستجابة لنداء الإيمان في وسط بيئة الكفر والجبروت.
- قوة الإرادة والعزيمة والقدرة علىٰ التحمل.
- الجرأة في الحق والشجاعة وعدم الخوف إلا من الله تعالىٰ.

---

(1) انظر: الكشاف للزمخشري 7/ 98.

- الذكاء والدهاء والحكمة والذي بدا واضحا عند نجاحها أكثر من مرة في اقناع فرعون بالعدول عن قتل موسى عليه السلام.

خواطر وعبر:

1 – احتفظت آسية بإيمانها ولم تتأثر بفساد زوجها؛ فانحراف الزوج وطغيانه لا يبرر للزوجة معصية ربها وحيادها عن طريق الحق والعدل فكل امرئ بما كسب رهين.

2 – **رفضت آسية الظلم بشتى الوسائل:**

- بالقلب.... عندما كانت تكتم إيمانها وتنكر المنكر بقلبها.
- باللسان.... عندما نهت عن قتل الطفل الرضيع موسى عليه السلام وقالت: (**لا تقتلوه**).
- باليد وبالجوارح.... عندما واجهت ظلم فرعون وتحملت أقصى درجات العذاب.

3 – عظم شأن آسية حتى إن الله تعالى جعلها مثلاً يُحتذى به في الإيمان للرجال والنساء على السواء، فقد قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم:11].

4 – قوة الإيمان أعلى من قوةِ القهرِ والاستعلاء.

5 – في كثير من الأحيان تتبع المرأة زوجها في كل مايعتقده ويراه وتؤازره حتى ولو جانب الصواب، ولكن آسيه حكّمت عقلها وعرفت الحق بقلبها، والإيمان بالله يرفع من شأن المرأة، ولا يجعلها مجرد تابع للرجل.

6 –آصرة العقيده أقوى من كل صلات القربى والنسب.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:22].

وقد كتب الله الإيمان في قلب آسية..

8 – يمكن للمرأة أن تتودد إلى الزوج لتستميل قلبه إلى الأعمال الصالحة، وتتخذ

الحيلة، وتستعمل الحكمه في إقناعه بالأعمال الطيبه كما فعلت آسية عندما منعته من ذبح موسىٰ.

9- انتقاء ألفاظ الدعاء، والاجتهاد في اختيار المطالب كما طلبت آسية بيتًا في الجنة، يكون سقفه عرش الرحمن، وهذا قد يهوِّن علىٰ المرأة ما تلقاه من عناء في الثبات علىٰ الحق.

وقد كان دعاؤها من تمام التوفيق وقوه البصيرة، وقد قال عمر بن الخطاب: (**إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا رزقت الدعاء فإن الإجابة معه**).

* * *

أشياع
(امرأة زكريا)
(أم الشهيد)

أشياع (امرأة زكريا)

(أم الشهيد)

العائلة الربانية:

انها أشياع بنت فاقود أخت حنه بنت فاقود **(أم مريم)** ، انها زوجه نبي وأم نبي ، فزوجها زكريا عليه السلام وابنها هو يحي عليه السلام.

كان سيدنا زكريا نجارًا وهو الذي كفل مريم حيث مات أبوها وهي في بطن أمها ، وأما أشياع خالتها قد كفلتها كفالة معنوية واحتوتها فكانت لها بمثابة الأم الحنون القريبة من ابنتها فقد علمت بحمل مريم وتفهمت أمرها وصدقتها وشاركتها في محنتها ومعاناتها ، وهكذا تكون العائلة الربانية الصالحة يكفل بعضها بعضًا ويرعىٰ بعضها بعضًا في حب وعطف.

كانت أشياع قد حرمت من الإنجاب لعقمها وعاشت حياتها عاقرًا فرضيت بما قسم الله تعالىٰ لها وكان زكريا عليه السلام تواقًا إلىٰ الذرية خاصة بعد أن شاب رأسه ووهن عظمه ، كان يخشىٰ علىٰ دعوته التي يقوم عليها وأهله الذين يرعاهم- ومنهم مريم- وماله الذي يحسن تدبيره وإنفاقه في وجهه – وكل ذلك هو تراثه الذي يملكه كان يخشىٰ عليه من الضياع لذا تضرع الىٰ الله تعالىٰ هو وزوجته بأن يرزقهما الله تعالىٰ الولد الذي يقوم بهذه المهام فاستجاب الله تعالىٰ لهما وبشرهما بالغلام- ولو لم يكن نهج أشياع أم يحيي موافقًا لنهج زكريا عليه السلام لكانت رغبتها ورغبة زوجها بعيدة المنال.

حمل له علامة:

عندما تحمل المرأة في عصرنا فانها تذهب الىٰ الطبيب لتجرىٰ اختبار حمل ولكن أشياع رضي الله عنها كان حملها آيه وعلامته آية أخرىٰ.

حملت أشياع وأخبرها الله تعالىٰ بالحمل ورأت الآيات الكبرىٰ من الكريم الوهاب وكانت فرحتها عارمة وسعادتها بغير حدود؛ لأنها ستضع لزوجها الشيخ أول

مولود وكان عمرها 98 سنة ، وقد شاهدت بعينها علامه الحمل التي نبأ الله بها نبيه عندما قال: (**رب اجعل لي آيه**) فكانت العلامة هي ألا يستطيع زكريا تكليم الناس بكلامهم المتداول بينهم عند محاورتهم.

وقد روي عن أبي زيد أنه لما حملت زوجته عليه السلام أصبح لايستطيع أن يكلم أحدًا وهو مع ذلك يقرأ التوراه فاذا أراد مناجاة أحد لم يطقها ودام ذلك ثلاثة ليال بأيامهن.

وهذه الآيه يؤدي بها زكريا حق الشكر لله الذي وهبه علىٰ الكبر غلامًا.

وعندما خرج علىٰ قومه أشار اليهم ليسبحوا ربهم ليشكروا الله معه علىٰ ما أنعم عليه وعليهم من بعده ، فكانت أشياع تكثر أيضًا من الذكر ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:11] .

*وهذه رسالة الىٰ كل زوجة تريد الإنجاب أن تكثر من الذكر وإلىٰ كل زوجة أنجبت أن تكثر من الذكر شكرًا لله فلا يلهيها الأبناء عن ذكر الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ....﴾ [المنافقون:9] .

علاقة يحيى بن زكريا بعيسى ابن مريم:

لقد حملت (**أشياع**) في نفس الوقت الذي حملت فيه مريم فكان عيسىٰ ويحيىٰ ابنا خالة كانت أشياع تقول لمريم: (**إني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك فذلك تصديقه له في بطن أمه فهو أول من صدّق عيسىٰ وهو أكبر من عيسىٰ أيضًا.....**) .

﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:39].

وأما سيدًا فتعني أنه في العلم والعبادة وحصورًا تعني أنه مانعًا نفسه من الشهوات.

البشرى من الملأ الأعلى:

لقد بشره الله تعالىٰ وبشرته الملائكه وهو واقف يصلي في المحراب وتضمنت البشرىٰ ثلاثه أشياء:

1- إجابة دعائه وهي كرامة له.

2- إعطاؤه الولد وهو القوة.

3- تفرد بتسميته. ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ [مريم:7] .

فهو اسم غير مسبوق سماه الله جل جلاله فذلك كرامة لأبويه وشهره لأمر يحيىٰ عليه السلام.

4- ذكر الله تعالىٰ صفات هذا الابن عندما يكبر وهذه الصفات هي التي تؤهله؛ لأن يقوم بالمهام التي من أجلها دعا زكريا ربه وهي صفات الداعية التقي الصالح **وهي:**

❋أنه يأخذ الكتاب بقوة.

والكتاب هو التوراه كتاب نبي اسرائيل من بعد موسىٰ وعليه كان يقوم أنبياؤهم يعلمون به ويحكمون.

وقد ورث يحيىٰ أباه زكريا ونودىٰ ليحمل العبء وينهض بالأمانة في قوة وعزم.

❋آتاه الحكم صبيًا.

وقد أخرج أبو نعيم ، عن بن عباس عن النبي ﷺ أنه قال في ذلك: أعطىٰ الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين.

وقيل أن الحكم معناه النبوة ولم ينبأ أكثر الأنبياء قبل الأربعين.

❋آتاه حنانًا من عنده.

لايتكلفه ولايتعلمه وهي صفه ضروريه للنبي وكذلك الداعية المكلف برعايه القلوب والنفوس وانجذابها الىٰ الخير.

❋آتاه زكاه القلب وطهارته ليواجه بها أدران النفوس فيطهرها ويزكيها.

❋آتاه التقوىٰ والصلاح فقد كان موصولًا بالله تعالىٰ يخشاه في السر والعلن ، وقد أثنىٰ الله علىٰ يحيىٰ وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال عنه (ماعمل معصيه ولاهم بها).

❋كان شديد البر بوالديه كثير الإحسان اليهما.

❋كان بعيدًا عن الكبر والتعالىٰ.

❋ له تحيه من الله وتشريف. «**وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا**» .

قال الطبري: أمان من الله تعالىٰ عليه يوم ولد (**من أن يناله الشيطان**) ويوم يموت (**من وحشه فراق الدنيا**) ويوم يبعث حيًا من هول القيامه وعذاب النار.

ومما لاريب فيه أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ من الشهداء جزاهم الله خير الجزاء.

أم الشهيد:

كانت حياة يحيىٰ ابن زكريا وسامًا علىٰ صدر أمه واستشهاده تاجًا علىٰ رأسها فهي الأم التقية النقية المربية العظيمة التي رزقت بعد كل هذا العمر الطويل ابنًا به كل هذه الصفات العظيمة فلم تدللة كما تفعل الأمهات اللاتي يرزقن أبناءًا علىٰ كبر ، وانما أحسنت تربيته وتأديبه فكان نبيًا شهيدًا عاش حياته مجاهدًا مصلحًا يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر.

وفي الحديث الذي رواه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بعث بن مريم ويحيىٰ بن زكريا في اثنىٰ عشر من الحواريين يعلمون الناس قال: فكان فيما نهوهم عنه نكاح ابنة الأخ.

قال: وكان لملكهم ابنه أخ تعجبه ، يريد أن يتزوجها ، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها ، فلما بلغ ذلك أمها ، قالت لها: اذا دخلت علىٰ الملك ، فسألك حاجتك فقولي: حاجتي أن تذبح لي «**يحيىٰ بن زكريا**» فلما دخلت عليه سألها حاجتها ، قالت: حاجتي أن تذبح لي «**يحيىٰ بن زكريا**» فقال: سليني غير هذا ، قالت: ما أسألك إلا هذا ، قال: فلما أبت عليه دعا «**يحيىٰ**» ، ودعا بطست فذبحه.(**أزواج الأنبياء – محمد راجىٰ الكنسىٰ**)

وهكذا استشهد نبي الله يحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ولاندري إن كان ذلك في حياة أمه أم بعد موتها ولكن علىٰ كل حال هي أم الشهيد وزوجة الشهيد وأم النبي وزوجة النبي وخالة خير نساء العالمين.

فسلام عليها و رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها فنعمت الأم ونعمت الزوجة ونعمت الخالة.

خواطر وعبر:

1 – كفالة العائلة بعضها البعض كفالة مادية ومعنوية.

2 – قيمة الذكر وارتباطه بالرزق وشكر النعم.

3 – فضل أم الداعية المجاهد وأم الشهيد.

امرأة عمران

(امرأة تحمل حملًا ربانيًا)

امرأة عمران

(امرأة تحمل حملًا ربانيًا)

هي حنا بنت فاقود، كانت عاقرًا لا تلد إلىٰ أن عجزت، فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخًا له، فتحركت نفسها للولد وتمنته وقالت: اللهم إن لك علي نذرًا –شكرًا– إن رزقتنىٰ ولدًا أن أتصدق به علىٰ بيت المقدس، فيكون من سدنته وخدمته (**وذكر ابن كثير أنها نذرت ذلك بعد الحمل**) فحملت بمريم، وهلك عمران زوجها وهي حامل بها وهذا النوع من النذر كان مشروعًا عندهم؛ روي أنهم كانوا ينذرون هذا النذر، فإذا بلغ الغلام خيّر بين أن يفعل وبين ألا يفعل (**كذا في الكشاف**)(1).

ونذر الأم هنا أن تجعل ما يأتي منها محررًا أي خالصًا مفرغًا للعبادة لخدمة بيت المقدس، فلا ينشغل بأي عمل آخر من شواغل الدنيا، فكان موهوبًا لطاعة ربه والانقطاع إليه.

مناجاة وسؤال الحبيب

إن قصة النذر تكشف عن قلب امرأة عمران وما يعمره من إيمان، ومن توجه إلىٰ ربها بأعز ما تملك، وهو الجنين الذي تحمله في بطنها خالصًا لربها محررًا من كل قيد ومن كل شرك، ومن كل حق لأحد سوىٰ الله سبحانه.

﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:35].

وهذا الدعاء الخاشع من امرأة عمران ينم عن ذلك الإسلام الخالص لله والتجرد إلا من ابتغاء قبوله ورضاه.

مناجاة شكر واعتذار

لما استجاب الله دعاءها حملت ثم وضعت، ولم تنسَ شكر الله علىٰ نعمته بل زادت في عبادتها ومناجاتها لله تعالىٰ في قرب ومودة وهي تقول: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:36].

(1) انظر: تفسير الكشاف للزمخشري 1/ 175.

تتحدث إلىٰ القريب المجيب وكأنها تعتذر إليه، ألم يكن لها ذَكر ينهض بالمهمة.

والكثير من الناس يرغب في الذكر لأسباب شتىٰ؛ منها: أن يكون امتدادًا له، ويحمل اسمه وذريته بعد موته، أو يكون سندًا له في الحياة عند الكبر – وقد كانت امرأة عمران عجوزًا مات زوجها وهي حامل؛ ولكنها لم تتمنَّ الذكر لأي من هذه الأسباب.

ليس الذكر كالأنثى:

إنها حقيقة تذكرها امرأة عمران في مناجاتها، ويعترف بها الشرع، ويرتضيها العقل والمنطق والفطرة.

وقد قصدت أن الأنثىٰ ليست كالذكر في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصىٰ.

وكان الأمر في دينهم أن الولد إذا صار بحيث يمكن استخدامه كان عليه خدمة الأبوين؛ فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع من الانتفاع، ويجعلونه محررًا لخدمة المسجد، ولم يكن أحد من الأنبياء إلا ومن نسله محررًا لبيت المقدس، ولم يكن يحرر إلا الغلمان، ولا تصح الجارية لما يصيبها من الحيض والأذىٰ فتحتاج إلىٰ الخروج.

وأما بمنطق العصر فليست الأنثىٰ كالذكر أيضًا في الصبر علىٰ العمل الشاق؛ لذا أوجب الشرع صيانتها وتكريمها بعدم إلزامها بالإنفاق، وما دخل علينا من مصطلحات غريبة مثل الجندر وغيره هي مفاهيم مضادة للفطرة، وما هدفها إلا القضاء علىٰ العنصر البشرىٰ.

الإيمان حرز من الشيطان:

دعت امرأة عمران في مناجاتها ﴿..وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران:36].

فليست القضية ذكر وأنثىٰ؛ إنما الأهم من ذلك هو الصلاح، وقد فطنت هذا جيدًا، فدعت بأن يحفظها –ليست وحدها – وإنما معها ذريتها من الشيطان، فالرغبة الأصلية في الحمل إنما كانت لإنشاء ذرية صالحة، تزرع الخير وتخدم الدين.

وقد حفظ الله مريم وابنها – يقول الرسول ﷺ: **(ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان**

حين يولد فيستهل صارخًا من مسه إياه إلا مريم وابنها)(1).

التسمية:

ومن فرط شعورها بقرب ربها تتحدث معه حديث سمر قائلة ﴿.. وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ... ﴾[آل عمران:36] وقد تخيرت لابنتها اسمًا طيبًا كما هي سنة نبينا ﷺ وشرع من قبلنا في تسمية المولود يوم ولادته.

وذكر السهلي أن القرآن لم يذكر امرأة باسمها إلا مريم ابنة عمران؛ فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين موضعًا لحكمة ذكرها بعض الأشياخ أن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملأ، ولا يبتذلون أسماءهن؛ بل يكنُّون بـ: الزوجة وبالعرس وبالأهل والعيال، ولم يصونوا أسماء الإماء عن الذكر فصرح الله باسم مريم لما قالت النصارىٰ في مريم تأكيدًا لعبوديتها وإجراء الكلام علىٰ عادة العرب في ذكر إمائها، وتكرر ذكر اسم عيسىٰ منسوبًا إلىٰ أمه لتشعر القلوب بنفي أبوة الله وبنزاهة أمه الطاهرة عن مقالة اليهود.

اصطفاء إلهي:

حينما نذرت أم مريم ما في بطنها لربها طلبت منه في خشوع وتضرع أن يتقبل هذه الوليدة حين قالت: (فَتَقَبَّلْ مِنِّي)، أي: ما نذرنه لك والتقبل هو أخذ الشيء.

علىٰ وجه الرضا، فاستجاب الله دعاءها، وتقبل منها نذرها، واصطفاها من بين نساء زمانها، وجعلها إمامة في الخير والصلاح.

والاصطفاء علاماته ظاهرة؛ حيث تقبّل الله مريم من أمها بقبول حسن، وهيأ لها النشأة الطيبة، وأجرىٰ لها من الكرامات ما يبهر ألباب المؤمنين، وكان في زمان مريم هذا أربعة آلاف محرر مثلها، لم يشتهر خبر أحد منهم اشتهار خبرها، وكان هذا الاختيار المبكر وهي في عالم الغيب جنينًا في بطن أمها.

قال ابن عباس في الآية: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾[آل عمران:37] ، أي: سلك بها طريق السعداء، والقبول هنا من الله وصف بالحسن؛ حيث قبل تلك الأنثىٰ علىٰ غير المعتاد لصدق نية الأم، وحيائها من ربها، فأنبتها نباتًا حسنًا،

(1) رواه البخاري في صحيحه 4/ 1655، رقم (4274)، كتاب تفسير القرآن، سورة آل عمران، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وجعل شكلها مليحًا جميلاً بهيجًا، ويسَّر لها أسباب القبول، وقرنها بالصالحين، وهذا التشبيه لنمو المولود بنمو النبات فيه أكبر دلالة علىٰ أهمية التهيئة البيئية للصغار حتىٰ يتسنىٰ حسن تربيتهم وإنباتهم نباتًا حسنًا مبرءًا من العيوب والآفات والأمراض، ومرض النبات ينتهي بموته وذهابه مع الريح، وأما مرض القلب فإنه الهلاك الماحق.

ملامح الشخصية:

1- إخلاص النية لله في الحمل، وهذه أولىٰ خطوات النجاح لتربية صالحة. والصلة القوية بالله تعالىٰ تبدو واضحة في كثرة العبادة والتبتل.

2- علو الهمة؛ فلم تطمح أم مريم من مولودها أن يكون غنيًا أو فتيًا أو صحيحًا؛ وإنما إرادت له مكانًا مرموقًا لعبادة الله تعالىٰ.

فلتضع الأم هدفا نًبيلا ً عاليًا لابنها وهو في بطنها.

3- البصيرة الواعية المتمثلة في حسن اختيار الطلب، والدعاء من الله بحفظ هذا المولود وذريته من الشيطان، وأم تطلب حفظه من الفقر والمرض وغير ذلك، فسرقة الإيمان من القلوب أكبر من سرقة الأموال من الجيوب .

4- حسن اختيار اسم المولود.

5- النظرة البعيدة إلىٰ المستقبل جعلتها تفكر في ابنتها وذريتها وما يمكن أن يقدمونه من بعدها لخدمة هذا الدين.

خواطر وعبر:

* إيمان المرأة يصل إلىٰ جنينها وربانيتها تؤثر في أولادها وصلاحها يمتد إلىٰ ذريتها جميعا فلنصلح أنفسنا أولا لتصلح ذريتنا من بعدنا.

* تربية الأبناء تبدأ من الحمل والدعاء لهم يستمر إلىٰ الأبد ويعطىٰ أثره ولو بعد حين.

* الأنثىٰ ليست كالذكر فلها طبيعة خاصة من رقة المشاعر والحس الرهف فلنحافظ عليه كما خلقه الله تعالىٰ.

* * *

مريم ابنة عمران

(العفيفة الطاهرة)

مريم ابنة عمران

(العفيفة الطاهرة)

خير النساء

يقول النبي ﷺ (**أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد –فاطمة بنت محمد– مريم عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**)[1].

ومعنىٰ الكمال: التناهي في البر والتقوىٰ والكمال في حق النساء لا يكون بالنبوة وإنما يكون بالصديقية وهي صدق في الأفعال والأقوال.

النشأة الطيبة

هيأ الله لمريم النشأة الطيبة، فقد ترعرعت في بيت المقدس حيث الزهاد والعباد والمربي الذي تولىٰ رعايتها وكفالتها هو زوج أختها ونبي زمانها زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والكفالة تعني تدبير الأمور والإنفاق والاهتمام بالمصالح الضرورية للحياة، وقد تسابق العباد في كفالتها فذهبوا إلىٰ نهر الأردن، واقترعوا هناك علىٰ أن يلقوا أقلامهم، فأيهم يثبت في جريه الماء فهو كافلها، فألقوا أقلامهم فاحتملها الماس إلا قلم زكريا فإنه ثبت وكان زكريا هو نبيهم وكبيرهم وسيدهم.

ولما كبرت مريم جعل زكريا لها محرابًا لا يرتقي إليه بسلام، وكان يغلق عليها بابًا، ولا يدخل عليها أحد عليها أحد غيره.

الخلوه والعبادة:

المحراب: هوأشرف المجالس ومقدمتها، وكانت هناك خلوتها بربها ومناجاتها وعبادتها ودعائها، وهذه الخلوة سنة من سنن الأنبياء، وهي موضع كنوز العلم؛ لأن القلب إذا تطهر من الشواغل أصبح محلاً ً لنور الحكمة.

ظهور الكرامة

عندما رزق الله مريم الهمة العالية في الطاقة والعبادة جعلها تدخل في مصاف الأولياء، وظهر لها من الكرامات ما لم يظهر لغيرها من العباد والزهاد، ﴿ فَتَقَبَّلَهَا

---

(1) رواه النسائي في الكبرىٰ 5/ 93، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران:37].

قال المفسرون: كان رزقها ينزل عليها من الجنة، فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف والأبواب مغلقة علها فيتعجب من ذلك، فهذه معجزة ربما كانت ليعلمها الله تعالىٰ أن كل شيء بأمره سبحانه وتعالىٰ، وأنه يمكن أن يرزقها شيئًا بطريقة غير مألوفة للبشر، فكان مولد عيسىٰ عليه السلام من دون أب، وأن الله يرزق من يشاء بغير حساب، ومسألة الرزق من مسائل العقيده التي لا بد أن تغرس في نفوس الصغار والكبار.

البلاء العظيم

شاءت إرادة الله أن تحمل بعيسىٰ دون أن يمسها بشر، ودون أن يكون لهذا الوليد نطفة من أب، ولكنها كلمة الله النافذة.

﴿ **إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ** ﴾ [آل عمران:45].

قال مجاهد: قالت مريم عليها السلام: كنت إذا خلوت حدثني عيسىٰ وكلمني وهو في بطني، وإذا كنت مع الناس سبح في بطني وكبر، قال لها جبريل (**إني رسول ربك لأهب لك غلامًا زكيًا**) .

يقال: إن جبريل نفخ في درعها فحملت بالولد بإذن الله، ولما حملت به وضاقت ذرعًا ولم تدر ماذا تقول للناس فهي تعلم أن الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به، غير أن أفشت سرها لخالتها امرأة زكريا التي حملت مع مريم في نفس التوقيت.

قيل: إن أم يحي قالت لمريم: إني أرىٰ ما في بطني يسجد لما في بطنك، وبعد الحمل ذهبت مريم إلىٰ مكان بعيد عن أهلها وحينما دنت ولادة عيسىٰ عليه السلام خرجت في جوف الليل من منزل زكريا إلىٰ خارج في جوف الليل من منزل زكريا إلىٰ خارج بيت المقدس، وأحبت ألايعلم بها زكريا ولا غيره (**كان عبئًا نفسيًا رهيبًا عليها**).

وحينما جاء المخاض، وهو ألم الولادة كانت جالسة تحت جذع نخلة في بيت

لحم تتستر به، وتعتمد عليه في ولادتها إذ لم تكن لها قابلة تعينها عندئذٍ قالت: (**ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا**).

والله عز وجل خفف عنها، وجعل عيسىٰ يكلمها ويرشدها إلىٰ أن تهز جذع النخلة حتىٰ تساقط عليها رطبًا جنيًا، وهذه كرامة أخرىٰ لمريم وتسرية لها، ولما رآها قومها ومعها هذا الطفل أنكروا عليها شأنها وقالوا: (**يا مريم لقد جئت شيئًا فريًا**)، أي: عظيمًا شنيعًا وكثير منهم خاضوا في حقها وقذفوها بكلام قبيح فرد الله كيدهم في نحرهم.

حينما ذهبت شرقي محرابها الذي تصلي فيه من بيت المقدس، وكان ذلك في قرية يقال لها بيت لحم، فافتقدها زكريا ولم يجدها في محرابها فاغتم غمًا شديدًا، وقال لابن خالها يوسف: اخرج في طلبها، فخرج يقص أثرها حتىٰ لقيها تحت النخلة، فلما رجعت إلىٰ قومها وهم أهل بيت صالحون، وزكريا جالس معهم بكوا وحزنوا وأصابهم هم شديد.

الحل هو الصمت:

مواجهة مثل هذا الموقف الرهيب أمر في غاية المشقة، فمهما تحدثت، ومهما قالت فلن يصدقها أحد؛ لذا أمرها الله تعالىٰ بالصمت وهو أبلغ رد ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم:26].

وحين صمتت مريم أنطق الله عيسىٰ بالحجة والبيان، وكفاها الله أمرها، وسخر لها من يقوم بحاجتها، وذلك حينما سلمت لأمر الله، واستسلمت لقضائه، فأظهر الله المعجزة، ونطق الوليد بالعبودية لربه، وبرأ أمه مما نسب إليها من الفاحشة.

مريم تهاجر إلى مصر

لما علم هردوس ملك الإسرائيليين بالشام بولادة عيسىٰ أراد قتله، فعلم يوسف ابن عمها بنية الملك، فهرب بالطفل عيسىٰ وأمه إلىٰ مصر طلبًا للأمان وحملها علىٰ حمار له، حتىٰ وصل إلىٰ مكان بأرض مصر وهي الربوة التي جاءت في قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون:50].

أقامت مريم وابنها في مصر حتىٰ بلغ عيسىٰ 12 عامًا، وكانت مريم وهي بمصر

تغزل الكتان وتلتقط سنبل القمح في الحصاد، وكان المهد في منكبها والوعاء الذي فيه النبل في منكبها الآخر.

ولما مات الملك هردوس عادت مريم وابنها عيسىٰ إلىٰ الشام، وسكنوا في جبل الخليل في قرية يقال لها: ناصرة، وبها سميت النصارىٰ.

وأخذ عيسىٰ عليه السلام يدعو إلىٰ عبادة الله تعالىٰ، ولاقىٰ أشد ألوان المضايقات من الإسرائيليين حتىٰ أرادوا قتله فرفعه الله إليه.

خواطر وعبر:

* العفة والطهارة هما كنز الفتاة، ورأسمالها، فلنعود بناتنا عليهما.
* لكل من لم ترزق بالزوج الذي تستريح في كنفه، أو تأخر زواجها؛ أن تقتدىٰ بمريم الطاهرة رضي الله عنها، في التقرب إلىٰ الله بالعبادة، والاستغراق في فعل الخيرات؛ حتىٰ تتقىٰ الوقوع في الآثام؛ فلم تبتلىٰ واحدة بما ابتليت به مريم رضي الله عنها.
* يكون الصمت حلاً لبعض المشكلات في كثير من الأحيان، ويغفل الناس ذلك.
* عمل المرأة ليس من المنكرات؛ فقد اضطرت إليه أطهر النساء، ولم تستكبر عنه؛ بل كانت تعمل لتنفق علىٰ ولدها، وهىٰ العابدة التي لم تكن تألف مشاق العمل؛ إذ كان يأتيها رزقها في المحراب، وكان زكريا عليه السلام يكفلها.

* * *

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

(الزوجة الأم)

خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(الزوجة الأم)

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ، يلتقي نسبها مع نسب رسول الله ﷺ عند جدهما الرابع (**قصي**).

كانت تلقب في الجاهلية بالطاهرة؛ لشدة عفافها، وكانوا يصفونها بسيدة نساء قريش، ثم أصبحت بعد ذلك سيدة نساء أهل الجنة بعد زواجها من الرسول ﷺ، فهي أول من آمن، وأول من صدّق، وأول من صلىٰ مع النبي، وهي المرأة التي سلم الله تعالىٰ عليها.

* أخرج النسائي من حديث أنس قال: قال جبريل للنبي ﷺ (**إن الله يقرئ خديجة السلام، فقالت: إن الله هو السلام، وعلىٰ جبريل السلام، وعليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته**)[1].

النشأة الطيبة:

كان خويلد أبو خديجة رجلاً ذكي الفؤاد ملتزمًا بالأخلاق والصدق والوفاء.

وكان ابن عمها ورقة بن نوفل أحد أربعة من حكماء العرب، لم يعبد الأوثان، ولكنه اعتنق النصرانية، وتعلم من كتبها مكارم الأخلاق، فلم يكن يشرب الخمر، ولا يلعب الميسر، وكان يرحم الموءودة ويربيها عنده حتىٰ إذا كبرت ورغب أبوها في استعادتها ردها إليه.

ومن هذا نعلم أن خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من أعرق العرب نسبًا؛ فقد نبتت في بيت شريف واسع الثراء معروف بالتدين والبعد عن الانغماس في الشهوات، وقد ورثت عن أبويها حسن السيرة وجمال الخلقة والخلق.

زواجها:

لما بلغت سن الزواج تزوجها (**النباش بن زرارة التميمي**)، فولدت ولدين: «**هند ثم هالة**».

---

(1) رواه النسائي في السنن الكبرىٰ 5/ 94، رقم (8359)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم توفي زوجها تاركًا لها ولولديها منه ثروته الطائلة، ثم تزوجت خديجة بعد ذلك (**عتيق بن عائذ المخزومي**) فولدت له بنتًا يقال لها: «**هند**».

شبت هذه البنت ثم تزوجت ابن عم لها وولدت له محمدًا، عاش هذا الولد وكانت له ذرية أقامت في المدينه المنورة بعد الهجرة، وكان يطلق علىٰ هذه الذرية (**بنو الطاهرة**)، ولم يستمر زواج خديجة مع عتيق.

أولاد خديجة قبل محمد ﷺ :

* هند بن أبي هالة من زوجها الأول.
* هالة بن أبي هالة من زوجها الأول.
* هند بنت عتيق من زوجها الثاني.

وقد عاشوا جميعًا في كنف رسول الله ﷺ، وأسلموا، وكان لهالة وهند صحبة ورواية من رسول الله ﷺ.

زواجها من محمد ﷺ:

كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذات مال وفير وخير كثير، فعملت بالتجارة بواسطة الأمناء من شباب مكة؛ ولما اتسعت تجارتها احتاجت إلىٰ عمال أكثر، فدلها الناس علىٰ محمد ﷺ، ولاقت تجارتها علىٰ يديه رواجًا غير مسبوق، وربحت ضعف ما كانت تربح.

وكان ميسرة (**غلام خديجة الذي يخرج بالتجارة مع محمد ﷺ**) يصف لخديجة إعجابه بمحمد ﷺ وما يراه من خوارق أثناء رحلته معه، وأعجبت خديجة بأمانة النبي ﷺ وأخلاقه، وربطت بين المعجزات التي رأتها وسمعتها عنه ﷺ وبين الرؤيا التي رأتها في منامها منذ زمن؛ فقد رأت شيئًا عظيمًا يهبط في دارها من سماء مكة فيغمر ضوؤها ما يحيط به من بقاع، وقد قصت تلك الرؤيا علىٰ ابن عمها ورقة بن نوفل فبشرها بأن هذه الشمس المضيئة علامة علىٰ قرب ظهور النبي المنتظر، وأنها ستتزوج منه.

ولقد شعرت خديجة أن محمدًا هو النبي المنتظر، وفكرت بجد في الزواج منه، فأرسلت إلىٰ صديقة لها اسمها (**نفيسة بنت منية**) لتكون وسيطًا لها في هذا الأمر، فعرضت علىٰ النبي ﷺ الأمر بلطف واستجاب لها محمد ﷺ وخطبها وتزوجها.

* كان محمد ﷺ فقيرًا، وكان في الخامسة والعشرين من عمره، بينما خديجة في الأربعين، ولكنه كان زواجًا ناجحًا متكافئًا.

* ولم تنظر رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إلىٰ هذا الزواج إلا نظرة دينية لتفوز بهذا النور النبوي الجليل وتحقق به سعادة الدنيا والآخرة.

* وقبل محمد ﷺ الزواج من أرملة في الأربعين وذات أطفال من غيره وهو في قمة ريعان شبابه.

فكان في هذه الزيجة روح من رعاية الله وعطفه وحنانه.

وقد جاء في السيرة الجليلة: أن رسول الله ﷺ قال: (**ما تزوجت شيئًا من نسائي ولا زوجت شيئًا من بناتي إلا بوحي جاءني به جبريل عليه الصلاة والسلام من ربي**) (1).

أبناء خديجة من محمد ﷺ:

حملت خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بالقاسم في السنة الثالثة من زواجها بمحمد ﷺ، فسعدت كثيرًا بذلك المولود، ولكنه مات قبل أن يتم رضاعه، فما لبث أن حملت بزينب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ثم رزقها الله تعالىٰ رقية فأم كلثوم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، ثم رزقها الله تعالىٰ عبد الله الذي لقب بالطيب وبالطاهر، ولكنه لم يعش طويلاً بل مات قبل الفطام فحزنت خديجة حزنًا شديدًا؛ لأن أملها في الإنجاب أضحىٰ ضعيفًا، وقد كانت ترجو أن يكون لها من محمد ذكر يحمل اسمه وتقر به عينه، ولكن مشيئة الله وحكمته اقتضت غير ذلك.

وقد شمت المشركون في النبي ﷺ وقالوا عنه: إنه أبتر (**أي: لاولد له من الذكور يحمل اسمه**) فأنزل الله تعالىٰ:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:1،3].

وكانت فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا آخر الإنجاب من خديجة؛ حيث وضعتها بعد عشر سنوات من الزواج، وفرحا بها كثيرًا؛ حيث كانت أشبه الناس بأبيها ﷺ خلقًا وخلقًا.

* ومن هنا نوجه رسالة لكل أم وكل أب لم يرزقا ذكرًا أن يرضيا بقضاء الله، ويثقا في حكمته؛ فلعل ذلك خير لهما، وأن يطلبا من الرزاق الوهاب فهو الذي ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى:49].

---

(1) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء 7/ 251، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لا صخب ولا نصب:

لقد بشرها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ببيت في الجنة من قصب (أي: **لؤلؤ**) لاصخب فيه ولا نصب.

ولقد كان هذا جزاءً وفاقًا لما بذلته خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في بيتها الدنيوي

* لقد حرصت أن تبذل مالها في سبيل دينها، وكان بيتها محصّنًا طاهرًا وعشًّا آمنًا لدين الله عز وجل، فعوضها الله عن ذلك بقصر من لؤلؤ عظيم.

* لقد كانت زوجة هادئة عاقلة، لا تحمل لزوجها صخبًا، فلم تكدر صفوه بالصياح والضجيج؛ بل جعلت بيتها هادئًا مطمئنًا سعيدًا.

* كانت تحرص علىٰ راحه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإبعاده عن التعب والقلق والنصب لأمر المعاش والأولاد، وفرغته للدعوة لدين الله تعالىٰ، فعوضها الله تعالىٰ ذلك البيت الذي لا نصب فيه في الجنة.

لقد غمرت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحب والحنان، ومن دلائل حبها له وإيثارها لما يحبه أنها حينما رأت حبه لمولاها زيد بن حارث وهبته له عن طيب خاطر.

ولما آنست منه رغبة في أن يكفل أحدًا لأبناء عمه أبي طالب رحبت، وأفسحت للإمام علي ابن أبي طالب مكانًا كبيرًا في قلبها وبيتها، وكأنه أحد أبنائها.

جهادها في نشر دين الله:

لقد كانت خديجة قبل البعثه خلف زوجها الطاهر الأمين، تعينه علىٰ حياته النقية البعيدة عن الأوثان والخمر والميسر، فكانت معه في كل موقف من مواقف الدعوة، تتخطىٰ معه الصعاب، ومن أهم هذه المواقف:

1- **خلوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغار.**

وكان ذلك أول ارهاصات النبوة، وكانت خديجة تهيىء له الزاد كل عام ليقضي شهر رمضان في غار حراء، ولو كان الأمر لعاطفتها المجردة لما رضيت -كالمرأة- أن يغيب عنها زوجها ليله واحدة.

2- **اضطراب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند بداية نزول الوحي.**

بعد لقاء جبريل الأول بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاد إلىٰ بيته مرتجفًا يقول: زملوني زملوني...... دثروني دثروني...... فاستوضحت خديجة منه الأمر فقال لها: يا خديجة لقد خشيت

علىٰ نفسي، فأخذت تثبته وتقول: والله لن يخزيك الله أبدًا.

ثم خرجت به إلىٰ بن عمها ورقة فقال له ورقة: (**أبشر يا محمد فهذا الناموس الذي نزل علىٰ موسىٰ وإنك لنبي هذه الأمة**).

ومن شواهد فطنتها وسلامة فطرتها هذا الموقف:

روىٰ ابن الأثير في (**أسد الغابة**) قول خديجة لرسول الله ﷺ: يا ابن عم، هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك الذي يأتيك إذا جاءك؟ تقصد جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ. قال: نعم. فبينما رسول الله ﷺ عندها إذ جاءه جبريل، فقال رسول الله: هذا جبريل قد جاءني، فقالت: أتراه الآن؟ قال: نعم، قالت: اجلس علىٰ شقي الأيسر فجلس، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: نعم، قالت: فاجلس علىٰ شقي الأيمن فجلس، قالت: أتراه الآن؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول رسول الله ﷺ فجلس، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، فتحسرت (**أي: قعدت مكشوفة الرأس**)، وألقت خمارها، فقالت: هل تراه؟ قال: لا، قالت: ما هذا شيطان، إن هذا لملك يابن عم اثبت وأبشر.

وهذا الموقف يبين مدىٰ احتضانها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لزوجها ووقوفها معه في محنته الأولىٰ في الدعوة إلىٰ دين الله.

3- همّ الدعوة:

كان النبي ﷺ يحمل عبئا ثًقيلاً وهو كيف يدعو الناس إلىٰ هذا الدين الجديد ومن الذي سيصدقه.

وبينما رسول الله ﷺ بين ذراعي خديجة إذا به ينظر إلىٰ فراشه ويقول لها: انتهىٰ يا خديجة عهد النوم والراحة، فقد أمرني جبريل أن أنذر الناس، وأن أدعوهم إلىٰ الله وإلىٰ عبادته فمن ذا أدعو ومن ذا يستجيب؟

فقالت في حماس: أنا أستجيب يا محمد، فادعني قبل أن تدعو أي إنسان وإني لمسلمةٌ لك ومصدقة برسالتك ومؤمنةٌ بربك، فشعر بسكينة وراحة.

قال ابن اسحاق: (**كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدّق بما جاء به، فخفف الله بذلك عن نبيه، فكان لايسمع شيئًا يكرهه من الرد عليه والتكذيب له فيحزنه ذلك ألا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتهون عليه أمر الناس**).

4- مسئولية البيت.

كانت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تتحمل مسئولية أسرة كثيرة العدد وأعباء بيت له همومه واحتياجاته وهي سعيدة راضية، فلم ترهق زوجها بأعمال المنزل علىٰ كثرتها، وأخذت تشرف علىٰ تربية أولادها حتىٰ يتفرغ لأمر الدعوة.

5- في شعب أبي طالب.

فقد حملت خديجة الكثير من البلاء والشدة، وجاءت إليها المحن تباعًا، ولكنها لم تتنازل عن الحق أبدًا وتحملت شظف العيش والحرمان من نعيم الحياة، وحبست مع زوجها والمؤمنين في شعب أبي طالب ثلاث سنوات كاملة حتىٰ بلغ الجهد منهم كل مبلغ، ولكنها مع ضعف جسدها ووهن صحتها وتغيير ما اعتادت عليه من نعومة العيش وطيب المأكل والمسكن لم تعبأ بذلك في سبيل نصرة الحق والدين، ولقد كانت تشتري بمالها خفية طعامًا للمحاصرين حتىٰ نفذ أكثر مالها. فدعا لها النبي ﷺ، لقد عاصرت خديجة أشد الفترات العصيبة في الإسلام، ولم تشهد أيام الفتح والنصر المبين، فقد رأت أول شهيدة في الإسلام، وشاهدت إيذاء قريش للمؤمنين، وعاصرت الهجرة إلىٰ الحبشة، ورأت ما يتعرض له زوجها كل يوم من بلاء، وهو يدعو الناس إلىٰ رب الناس، فلا يزداد مع البلاء إلا صبراً وثباتًا.

6- إيذاؤها في بناتها

كان رسول الله ﷺ قد زوج ابنته زينب من (**أبي العاص بن الربيع**) التاجر الصادق الأمين؛ كما زوج ابنته رقية وأم كلثوم لعتبة وعتيبة ابني أبي لهب عم النبي ﷺ.

وبدا لزعماء قريش أن أشد الأمور إيذاءً لمحمد أن ترد بناته عليه، ثم جاءوا (**أبا العاص**) وسألوه أن يفارق امرأته زينب فرفض ذلك، وأما عتبة وعتيبة فقد وافقا علىٰ فراق رقية وأم كلثوم قبل أن يدخلا بهما، واكتفىٰ عتبة بطلاق رقية وأما عتيبه فلم يكتفِ بذلك بل زاد عليه أن ذهب إلىٰ النبي ﷺ وأسمعه ما يكره، فدعا عليه النبي فأكله أسد.

وتحملت الصابرة المجاهدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذلك الأذىٰ في بناتها كذلك، ثم جاء عثمان بن عفان فخطب رقيه وتزوجها، ثم هاجر فيمن هاجر إلىٰ الحبشة، وكان ذلك بالتأكيد شديد أيضًا علىٰ قلب الأم الحنون خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، ولكنه لون من ألوان الجهاد في الدعوة.

وفاة ووفاء:

ولقد كان وداع رقيه لأمها وداعًا لا لقاء بعده فقد توفقت خديجة قبل عودة ابنتها من الحبشة، وبعد الحصار الذي كان بالغًا في القسوة والشدة على امرأة قاربت الستين من عمرها.

وبعد وفاة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تتابعت المصائب على رسول الله ﷺ وسمي هذا العام بـ (**عام الحزن**).

توجد العديد من المواقف التي تدل على حب النبي ﷺ لخديجة ووفائه لها وذكره الدائم لفضلها، طوال حياته:

1- عن عائشة قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: (**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**) قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: إني قد رزقت حبها[1].

2- جاءت (**أم زفر**) ماشطة خديجة إلى المدينه المنورة، فأحسن النبي ﷺ استقبالها، وبالغ في إكرامها، وقال (**هذه كانت تغشانا في عهد خديجة**) وإن حسن العهد من الإيمان.

3- لما أراد النبي ﷺ فتح مكة أعطى الراية الزبير، وأمره إن يغرزها بأعلى مكة في الحجون (**حيث دفنت خديجة**) وقال له: لا تبرح حيث أمرتك أن تغرز رايتي حتى آتيك، وهناك ضربت للرسول ﷺ الأعظم قبته، حيث اتخذ له مكانًا للقيادة يدير به معركة الفتح الأعظم، ومن هناك دخل أم القرى بتأييد الله ونصره.

4- بعدما انتصر المسلمون في غزوة بدر أخذ النبي ﷺ يتلقى فداء الأسرى من قريش، فلا يكاد يلمح قلادة لخديجة بعثت بها ابنتها زينب في فداء زوجها الأسير (**أبي العاص بن الربيع**) حتى يرق قلب النبي ﷺ في شجن، ويسأل أتباعه في أن يردوا على زينب قلادتها ويفكوا أسيرها.

5- أقبلت هاله بنت خويلد أخت خديجة يومًا لزيارة المدينة، وسمع النبي ﷺ صوتها في فناء بيته، وكان يشبه صوت العزيزة الراحلة فهتف خافق القلب: اللهم هاله....اللهم هاله.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه (2435)، باب فضائل خديجة رضي الله عنها، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فما ملكت عائشة نفسها أن قالت: (**ما تذكر من عجوز من عجائز قريش – حمراء الشدقين -هلكت في الدهر، أبدلك الله خيرًا منها؟**)

فتغير وجه النبي ﷺ وزجر عائشة غاضبًا:

(والله ما أبدلني الله خيرًا منها: آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني إذا كذبني الناس، وواستني بمالها إحرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء) .

فأمسكت عائشة وهي تقول في نفسها: (**والله لا أذكرها بعدها أبدًا**)(1).

ملامح الشخصية:

* الفراسة وحسن الاختيار حيث اختارت خير البشر ليكون لها زوجا؛ رغم قلة ماله، وصغر عمره

* سعة الصدر والقدرة علىٰ الإحتواء ، والعاطفة الأمومية التي كان النبي ﷺ في أمس الحاجة إليها ، والتي غالبا ما يحتاجها كل رجل.

* والرجل يحتاج أن تكون زوجته تارة أم ، وتارة صديقة ، وتارة عشيقة ، والزوجة الذكية هيٰ التي تقوم بكل هذه الأدوار بحنكة واقتدار.

* العقل والحكمة وحسن التصرف؛ حيث تفهمت سريعًا موقف الوحيٰ وما يمر به النبي ﷺ من أزمة نفسية؛ فوقفت بجانبه ، وكانت سنده وعونه حتىٰ مرت بسلام.

* الصبر والجلد في تحمل مشاق الطريق مع زوجها عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

* الحياة الزوجية شركة في الألام والآمال.

* الوفاء بين الزوجين من سمات المؤمنين الصادقين.

خواطر وعبر:

* **ونستخلص من هذا الزواج بعض العبر:**

1 – أن الفارق في السن بين الزوجين لا يؤثر في كونه زواجًا متكافئًا.

2 – أن علىٰ الشاب الذي يبحث عن الزواج ألا يجعل كل همه في شكل العروس وجمالها بقدر ما يعنىٰ بالعقل والحكمة والخلق القويم والأصل الكريم.

3 – أن علىٰ الفتاه أيضًا ألّا تبحث عن الشكل والهيئه وكثرة المال بقدر ما تبحث عن الدين والخلق.

---

(1) رواه أحمد في مسنده 6/ 117، من حديث عائشة رضي الله عنها.

4- أن المرأة يجوز لها شرعًا وعرفًا أن تخطب لنفسها من تراه كفؤًا لها، ولكن بأدب ووقار، وأن ترسل من يكون وسيطًا في ذلك، وأما إن كانت بكرًا فليفعل ذلك وليها.

وأعتقد أن في ذلك قمة الاحترام والتقدير للمرأة؛ حيث إن الإسلام أعطاها حق الاختيار والانتقاء كما أعطاه للرجل تمامًا.

أما ما نحن فيه الآن من عادات وتقاليد شعبنا ففيه ما يبخس المرأة حقها.

* * *

أم سلمة

رضي الله عنها

(الحكيمة الرحيمة)

أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(الحكيمة الرحيمة)

هي هند بنت أبي أمية سهيل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية .

نشأتها:

نشأت هند في بيت عريق أصيل يجمع من طرفي الجود والشجاعة، فهي ابنة واحد من أجود الناس في قريش وقد سُمي (**زاد الركب**)؛ لأنه كان إذا خرج مع الناس في سفر لم يتخذوا زادًا معهم ولم يوقدوا نارًا مما عرفوا من كرمه وجوده.

ولا ريب أنها تأثرت بهذه البيئة الكريمة، فكانت ذات يد معطاء ونفس صافية.

زواجها من أبي سلمة:

تقدم لخطبتها أحد فتيان قريش المعدودين وهو عبد الله بن عبد الأسد بن عمر بن مخزوم (**أبو سلمة**).

وكان أبو سلمة أخًا للنبي ﷺ من الرضاع، وتم الزواج وكانت أم سلمة تعيش حياة النعيم والرخاء، لكنها في غضون أيام تترك هذا النعيم كله لتنتقل إلىٰ نعيم روحي آخر، فقد سارعت وزوجها إلىٰ الإيمان بالله منذ المراحل الأولىٰ من الدعوة

الهجرة إلى الحبشة:

كانت (**أم سلمة**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أول مهاجرة من النساء، هاجرت هي وزوجها إلىٰ الحبشة الهجرتين، كانت الهجرة الأولىٰ في سنة خمس من المبعث، ولما بلغ المهاجرين إسلام قريش عادوا وقبل وصولهم لمكة تبين عدم صحة ما بلغهم فعادوا من حيث أتوا.

قصة الهجرة إلى المدينة:

إنها قصة مؤلمة، فقد كان أبو سلمة أول المهاجرين إلىٰ المدينة، فصحب معه

زوجه أم سلمة وابنه سلمة، فحال المشركون بينه وبينها فاحتبسوها عندهم وفرقوا بينها أيضًا وبين ولدها سلمة، فقد تنازعوه وتجاذبوه فيما بينهم حتىٰ خلعوا يده، فأهل أم سلمة يريدون أن يبقىٰ معهم وأهل أبيه يريدون أن يبقىٰ معهم، فغلب أعمامه أهل أمه فأخوه عندهم بعيد عن حنان أبويه، فاحتملت أمه هذا الفراق المؤلم صابرة، محتسبة، وحيدة قوم لئام، قلوبهم أشد قسوة من الحجارة، لا ترىٰ ولدها، ولا تسمع لزوجها خبرًا يواسيها.

وتحكي أم سلمة عن هذه الأيام المؤلمة والتي استمرت عامًا كاملًا فتقول:

(كنت أخرج كل غداة وأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتىٰ أمسي سنة أو قريبًا منهًا)

ثم هاجرت أم سلمة إلىٰ زوجها ومعها ولدها، وقد رقَّ لها أهلها بعد أن أخذ منها الحزن مأخذًا وبلي جسدها، وأشرفت علىٰ الموت من شدة الضعف والهزال، تروي أم سلمة **قصتها فتقول:**

(ورد علي بنو عبد الأسد عند ذلك ابني فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة، وما معي أحد من خلق الله، حتىٰ إذا كنت بالتنعيم (علىٰ مشارف مكة) لقيت عثمان بن طلحة فقال:

أين يا بنت أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة فقال: هل معك أحد؟ فقلت: لا والله إلا الله وابني هذا، فقال: والله مالك من مترك، وأخذ بخطام البعير فانطلق معي يقودني فو الله ما صحبت رجلًا من العرب أراه كان أكرم منه).

والتقىٰ الزوجان بعد عام حافل بالذكريات المضنية، وكانت أم سلمة أول ظعينة من النساء دخلت المدينة.

* وفي ربوع المدينة عاش الزوجان يعبدان الله تعالىٰ ويتزودان بزاد التقوىٰ، وعكفت أم سلمة علىٰ رعاية أبنائها وتربيتهم علىٰ حب الله ورسوله، حتىٰ أصبح أولادها من خيرة الصحابة وهم: زينب و عمر و سلمة ودرة.

وفاة أبي سلمة:

توفي أبو سلمة بعد أن ظل شهرًا يتداوىٰ من جرح عميق في عضده أصابه في غزوة أحد، وبقيت أم سلمة مثالًا للمرأة الصابرة المحتسبة، فقد حزنت علىٰ زوجها الحزن كله، ولكنها لم تقل إلا ما يرضىٰ ربها عز وجل.

روىٰ مسلم في صحيحه عنها قالت: إن أبا سلمة ﷺ حدثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:- ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزع إلىٰ ما أمره الله به من قول **(إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي وعوضني خيرًا منها- إلا أجره الله في مصيبته)** [1].

فلما مات أبو سلمة ذكرت الذي حدثني به رسول الله ﷺ فكنت أقول: **إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم آجرني في مصيبتي وعوضني خيرًا منها)** .

ثم قلت: أني أعاض خيرًا من أبي سلمة؟ وأنا أرجو أن يكون الله قد آجرني في مصيبتي.

زواجها من رسول الله ﷺ:

لما وفت أم سلمة عدتها خطبها أبو بكر (ﷺ) فاعتذرت إليه بأدب ولطف، ثم خطبها عمر فلم تجبه بشيء، ثم خطبها رسول الله ﷺ فاستبشرت بذلك خيرًا، ورأت أن الله عز وجل قد أراد بها خيرًا كثيرًا في الدنيا، وأراد لها الفوز في الآخرة.

تقول أم سلمة: لما انقضت عدتي استأذن علي رسول الله ﷺ وأنا أدبغ إهابًا، فسللت يدي منه وأذنت لرسول الله ﷺ ووضعت له وسادة من أدم حشوها ليف، فقعد إليها فخطبني إلىٰ نفسه، فلما فرغ من مقالته قلت: يا رسول الله، إني امرأة في غيرة شديدة، وإني أخاف أن ترىٰ مني شيئًا تكرهه يعذبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السن ذات عيال قال: أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عنك، وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل ما أصابك، وأما عيالك فإنهم عيالي، قالت: فقلت: قد سلمت أمري إلىٰ رسول الله ﷺ فتزوجني.

عن أم سلمة أخرج محمد بن سعد في الطبقات الكبرىٰ عنها قالت: **(قلت لأبي سلمة بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها بعده إلا جمع الله تعالىٰ بينهما في الجنة وهي من أهل الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها، فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدي ولا أتزوج بعدك، قال: أتعطيني؟ قالت: ما استأمرتك - أي شاورتك – إلا وأنا أريد أن أعطيك)**.

قال: فإذا أنا متُّ فتزوجي، ثم قالاللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلا ً خيرًا مني، لا يحزنها، ولا يؤذيها. قالت: فلما مات قلت:- من هذا الذي هو خير من أبي سلمة؟

---

(1) رواه مسلم في صحيحه (918)، باب ما يقال عند المصيبة، من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

في بيت الزوجية:

ومن أول لحظة دخلت فيها أم سلمة بيت الزوجية فإذا بها تقوم بأعباء المنزل وتدير شئونه علىٰ أفضل وجه.

عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، قال: دخلت أيم العرب (**أي أم سلمة العروس**) علىٰ سيد المسلمين أول العشاء عروسًا، وقامت آخر الليل تطحن.

وكانت أم سلمة دائمًا تسعىٰ لإدخال السرور والسعادة علىٰ رسول الله ﷺ، وعاشت معه علىٰ القليل من الزاد والخشن من الثياب والفراش.

مواقف عظيمة:

كان لأم سلمة مواقف تاريخية عظيمة تدل علىٰ رجاحة عقلها وتمسكها بالحق وقدرتها علىٰ ضبط انفعالاتها عند الغضب في غير تعدي كما أنها كانت صافية النفس تحب الخير لكل الناس.

1- في صلح الحديبية:

في العام السادس من الهجرة صحبت أم سلمة رسول الله ﷺ في رحلته إلىٰ مكة معتمرًا، وجمع من أصحابه، فصدتهم قريش عن دخول البيت الحرام وقد أزعج ذلك صحابة رسول الله ﷺ، وكبر عليهم أن يعودوا إلىٰ المدينة مخذولين دون أن يؤدوا العمرة، ولكن رسول الله ﷺ قد رأىٰ في الأمر خيرًا، وعلم أن الله لن يخذله، فأمر أصحابه بعد عقد الصلح (**صلح الحديبية**) أن ينحروا هديهم ويحلقوا رؤوسهم ويتأهبوا للعودة إلىٰ المدينة، فشقّ ذلك عليهم وما قام منهم أحد، حتىٰ كرر الأمر بالنحر والحلق ثلاث مرات.

فلما لم يقم أحد، قام فدخل علىٰ زوجه أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتىٰ تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، ففعل ذلك رسول الله ﷺ ولما رأىٰ الصحابة ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتىٰ كاد بعضهم يقتل بعضًا غمًا.

وهكذا نجا الصحابة الكرام من مخالفة الحبيب المصطفىٰ ﷺ وذلك ببركة رأي أم المؤمنين أم سلمة (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) ورجاحة عقلها.

2- مع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

جاء في الصحيحين أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: «**والله كنا في الجاهلية لا نعد للنساء أمرًا حتىٰ أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم، فبينما أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا؟ فقلت لها: ما لكِ ولما ههنا، فيمَ تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي:- عجبًا لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع وإن ابنتك لتراجع رسل الله ﷺ حتر يظل يومه غضبان؟**

فقام عمر وأخذ رداءه من مكانه حتىٰ دخل علىٰ حفصة، فقال لها: يا بُنية.. إنك تراجعين رسول الله ﷺ حتىٰ يظل يومه غضبان؟! فقالت حفصة: والله إنا لنراجعه فقال:- تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ، يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها -يريد عائشة، قال:- ثم خرجت حتىٰ دخلت علىٰ أم سلمة ، لقرابتي منها، فكلمتها فقالت أم سلمة:- عجبًا لك يا بن الخطاب، قد دخلت في كل شيء حتىٰ تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟

قال عمر:- فأخذتني والله أخذًا كسرتني به عن بعض ما كنت أجد، فخرجت من عندها »

صاحبة القلب الرحيم:

كانت رضي الله عنها رحيمة بكل من حولها، تحب أن تحمل لهم البشرىٰ دائمًا لتدخل السعادة علىٰ قلوب الناس.

فهي التي حملت خبر توبة الله تعالىٰ علىٰ (**أبي لبابة**)، وذلك عندما أرسله الحبيب ﷺ إلىٰ بني قريظة، وكان أبو لبابة حليفًا ليهود بني قريظة في الجاهلية، فلما خانوا عهدهم مع رسول الله ﷺ في غزوة الخندق، قرر النبي ﷺ أن ينزلوا علىٰ حكمه فيهم، فأرسل إلىٰ أبي لبابة، فأرادوا أن يستشيروه في أمرهم وسألوه:- هل ترىٰ أن ننزل علىٰ حكم محمد ﷺ؟ فقال لهم أبو لبابة: نعم -وأومأ إلىٰ حلقه بالذبح – أي إنكم إذا نزلتم علىٰ حكمه فلن يكون إلا الذبح – فأحس أبو لبابة أنه قد خان الله ورسوله ﷺ، فندم وعاد فربط نفسه في عمود المسجد وقال: والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتىٰ أموت أو يتوب علي مما صنعت.

روىٰ ابن اسحاق بسنده أن توبة أبي لبابة نزلت علىٰ رسول الله من السحر وهو في

بيت أم سلمة فقالت – وقد سمعته يضحك، قلت:- ممَّ تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك؟

قال: تِيب علىٰ أبي لبابة. قلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟ قال: بلىٰ إن شئتِ، قالت: فقمت علىٰ باب حجرتي -وذلك قبل أن يضرب الحجاب علىٰ أمهات المؤمنين – فقلت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك.

العفو الكريم:

كانت أم سلمة (رَضِوَاللَّهُعَنهَا) سببًا في أن يسامح النبي ﷺ ابن عمه (**أبو سفيان بن الحارث**) وابن عمته (عبد الله بن أمية) فقد لقيا رسول الله ﷺ بالأبواء فالتمسا الدخول عليه، فأعرض عنهما لما كان يلقاه منهما من شدة الأذىٰ والهجو.

وهنا تدخلت أم سلمة (رَضِوَاللَّهُعَنهَا)، وكلمت الحبيب ﷺ ليسامحهما ويعفو عن زلتهما فيما مضىٰ، فقالت: يا رسول الله، لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقىٰ الناس بك.

ضبط النفس:

غضبت أم سلمة يومًا علىٰ خادمها، فأرادات أن تضربه بسواك كان في يدها، فما لبثت أن كبحت جماح غضبها قائلة له: اذهب عني، لله در التقوىٰ ما تركت لذي غيظ شفاء !!

وكانت تغار أحيانًا – وهي التي ذكرت أنها شديدة الغيرة عندما تقدم النبي لخطبتها – ولكنها كانت تجالد نفسها فلم يصدر منها أي تصرف خاطئ تجاه ضرائرها.

العلم والفقه:

قال الإمام الذهبي عنها: (**وكانت تعد من فقهاء الصحابيات**)(1).

وكيف لا تصل إلىٰ تلك المرتبة العالية وهي التي سمعت القرآن الكريم والسنة المطهرة من فم الحبيب ﷺ.

لقد كانت ممن يرجع إليها في بعض الأحكام والفتاوىٰ وبخاصة فيما يخص فقه المرأة المسلمة حتىٰ كان حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه يرسل إليها فيسألها عن بعض الأحكام.

---

(1) السيرة/ (2/ 203)..

وأما الثروة الحديثية التي أُثرت عن أم المؤمنين أم سلمة فتبلغ ثلاثمائة وثمانية وسبعين حديثًا، حفظتها عن رسول الله ﷺ.

الرحيل:

كانت أم سلمة رضي الله عنها من المعمِّرات؛ فقد عاشت نحوًا من تسعين سنة، وعاشت الخلافة الراشدة، وامتدت بها الحياة إلىٰ عهد يزيد بن معاوية.

قال الإمام الذهبي: وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين.

عمّرت حتىٰ بلغها مقتل الحسين الشهيد فوجمت لذلك وغُشي عليها، وحزنت عليه كثيرًا، ولم تلبث بعده إلا يسيرًا وانتقلت إلىٰ الله.

فرضىٰ الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس مثواها.

ملامح الشخصية:

كانت أم سلمة رضي الله عنها من أجمل النساء، كانت عاقلة لبيبة حسنة الرأي والفهم، رحيمة طيبة القلب صفية النفس تجاه الناس جميعًا **(وتؤثر الحلم والصفح)**، وفي الوقت ذاته لم تكن تخجل من الصدع بالحق في وضوح وصراحة، قوية في الشدائد تملك زمام نفسها عند الغضب وتبتعد عن مواطن السوء.

خواطر وعبر:

1 - هجرة الأوطان أمر عزيز علىٰ النفوس، ومن فطرة النساء حب البيت والاستئناس بالأهل والعشيرة، فكم كانت تضحية هذه المجاهدة الصبورة التي فرّت بدينها من الفتنة.

وقد ضربت لنا أم سلمة مثلاً رائعًا في التضحية في قصة هجرتها العظيمة إلىٰ المدينة، وقد تحملت فراق الزوج والابن.

وهناك بعض نساء العصر الحديث ممن شابهن أم سلمة في تضحيتها وصبرها، فصبرن علىٰ فراق أزواجهن وهم في سجون الظالمين، وهن يتحملن أعباء أسرهن، ويواجهن الأخطار في شجاعة وجلد، ويحتسبن هذا كله في سبيل الله تعالىٰ، متأسيات بأم سلمة رضي الله عنها.

2 - إن موقف أم سلمة في وفاة زوجها من الوفاء ما لا مثيل له، ويكشف عن مدىٰ الحب الذي كان بينها وبين زوجها، فهي لم تكن ترىٰ أحدًا في الدنيا خيرًا منه، وهو يدعو لها أن يرزقها الله بعد موته من هو خير منه.

فعجبًا لهذه الأنفس؟ أهم بشر مثلنا؟ أم لهم أنفس ملائكية؟

إنه الإيمان واليقين بالله حين يملأ جنبات النفس، فيضفي جمالًا وبهاءً علىٰ الحياة رغم ما بها من آلام.

3- يبدو في شخصيتها شدة الوضوح وشدة الصراحة وقوة الحجة والبيان مع العقل والاتزان، ويتجلىٰ ذلك **في هذه المواقف:**

أ- صراحتها عندما أبلغت النبي ﷺ بما تراه، فقد تكون عقبات في طريق زواجها منه ﷺ، وهي أنها شديدة الغيرة، وأن لديها أبناء، وأنها كبيرة السن، فهي تريد أن تعرف كيف سيكون وضعها وأبناؤها بعد الزواج من رسول الله ﷺ، وقد أغضب هذا سيدنا عمر رضي الله عنه ، واعتبرها أنها ردت رسول الله في حين طمأنها النبي وأعطاها جوابًا لكل ما أشارت إليه.

ب- قوة الشخصية تظهر عند الإمساك عن الغضب، فقد أوشكت أن تضرب خادمًا بالسواك ثم أمسكت عن ذلك، وقالت (**فيما معناه**): لله در التقوىٰ، ما تركت لذي غضب أن ينفذ غضبه.

فما بال النسوة اللائي يواصلن الضرب في أولادهن ليل نهار؟

ج- ظهرت قوة الحجة والبيان عندما أفحمت الفاروق عمر بن الخطاب ذا القوة والمهابة بقولها (**عجبًا لك يا ابن الخطاب، قد دخلت في كل شيء حتىٰ تبتغي أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟**)

فقال عمر (**فأخذتني أخذًا كسرتني به عند بعض ما كنت أجد**)

وا عجبًا لقوة تأثيرها وجرائتها في الحق.

ج- وفي صلح الحديبية عندما أشارت علىٰ النبي مشورتها المعروفة، وحفظت المسلمين من معصية الرسول، وهذا يدل علىٰ حكمتها وعقلها الراجح.

* * *

فاطمة الزهراء

رضي الله عنها

(خير عروس في
أبسط زواج)

فاطمة الزهراء رضي الله عنها

(خير عروس في أبسط زواج)

المولد والنشأة:

ولدت فاطمة بنت رسول الله ﷺ أثناء بناء قريش الكعبة قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنوات، وقد كانت منذ طفولتها وضاءة الجبين بهية الطلعة، حتىٰ إذا شبت وترعرعت كانت أشبه الناس بأبيها.

ففي مهد الإيمان نشأت نشأة جد واعتكاف؛ نشأة وقار وحياء، فكانت ساكنة النفس، طيبة القلب، صافية السريرة، لا تعرف إلا الإيمان.

حنان في تربية البنت:

عن عائشة قالت: ما رأيت أحدًا أشبه كلامًا ولا حديثًا برسول الله ﷺ من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها ورحب بها، وكذلك كانت هي تصنع.

هجرتها:

هاجرت إلىٰ يثرب بعد الهجرة النبوية بقليل بصحبة أختها أم كلثوم وأم المؤمنين سودة بنت زمعة، حملهن زيد بن حارثة وأبو رافع إلىٰ المدينة حيث استقبلهن رسول الله ﷺ فرحًا بقدومهن.

زواجها بعلى رضي الله عنه:

كان النبي ﷺ قد وعد عليًّا أن يزوجه فاطمة، وهو وعد صادق أنعم به خير البرية علىٰ خير الأبطال.

وعلم أهله من بني هاشم بالخبر فأخذوا يحثونه علىٰ أن يخطبها ولكنه تهيب الموقف.

وقد روىٰ بعد ذلك ما حدث فقال: كانت لرسول الله ﷺ جلالة وهيبة، فلما قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما أستطيع أن أتكلم، فقال: ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ فسكت فقال: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ قال: نعم، قال: وهل عندك شيء تستحلها به؟ لا

والله يا رسول الله، فقال: ما فعلت بالدرع التي سلحتكها؟ فقلت: عندي، والذي نفسي بيده إنها لحطيمة – أي تحطم السيوف – ما ثمنها أربعمائة درهم.

استشارة البنت:

كان الرسول الكريم يجعل أمر بناته بأيديهن، وقد استنّ استشارتهن في أمر زواجهن، فقال للزهراء: إن عليًّا يذكرك، فسكتت، فزوجها.

إشهار الزواج:

وجمع النبي ﷺ الناس ليشهر الخطبة (**فتبسم رسول الله ﷺ لعلي وقال: يا علىٰ إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة وإني زوجتكها علىٰ أربعمائة مثقال فضة، فقال علي: رضيت يا رسول الله، ثم إن عليًّا خرَّ ساجدًا، فلما رفع رأسه قال الرسول ﷺ: بارك الله لكما، وعليكما، وأسعد جدكما، وأخرج منكما الكثير الطيب، قال أنس: والله لقد أخرج منهما الكثير الطيب**).

حفل الزفاف وجهاز العروسين:

أخذ علي يعد العدة للزفاف السعيد، فباع بعيرًا – كما قيل – باربعمائة وثمانين درهمًا، فقال النبي ﷺ: «**اجعلوا ثلثين في الطيب، وثلثًا في الثياب**».

وقد وليت أم أيمن رضي الله عنها أمر إعداد جهاز العروس، فكان فيما جهزتها به سرير وخميلة من قطيفة ووسادة من أدم حشوها ليف، وتورة من أدم يغسل فيه، وسقاء ومنخل ومنشفة وقدح ورحاءان وجرتان.

ولما كانت ليلة العرس في أوائل ذي الحجة علىٰ رأس اثنين وعشرين شهرًا من الهجرة أولم علي بن أبي طالب وليمة يبدو أنه بذل فيها الكثير مما أفاء الله عليه من بدر وبني قينقاع، فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته.

المجاملات في العرس:

وقدم أخوال النبي من الأنصار لعلي بعض الهدايا العينية مشاركة منهم في إعداد هذه الوليمة علىٰ مألوف عادة الأهل والأقارب.

ولما انتهت الوليمة انتقلت أفضل عروس إلىٰ المنزل الذي أعده علي لسكانهما.

تبسط النبي مع زوج ابنته:

وكان رسول الله ﷺ قد أمر عليًا ألا يدخل علىٰ فاطمة حتىٰ يجيئه، فتبعها بعد قليل من وصولها حتىٰ وقف علىٰ الباب فاستأذن فأذن له فقال...أثم أخي؟ فتعجبت أم

أيمن وقالت وهي تتبسط معه... بأبي أنت وأمي يا رسول الله من أخوك؟ قال.. علي بن أبي طالب... قالت... وكيف يكون أخاك وقد زوجته ابنتك؟

قال: هو ذاك يا أم أيمن، ثم دعا بماء في إناء وتلا بعض آيات القرآن الكريم وهو يحرك الماء بيده، ثم دعا عليها فنضح علىٰ كتفيه وصدره وذراعيه من ذلك الماء، ثم دعا فاطمة فجاءت بغير خمار تعثر في ثوبها حياءً، فنضح عليها من ذلك الماء ثم قال: والله ما آلوت أن زوجتك خير أهلي، ثمعا لهما قائلاً ... «**اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما**»... ثم انصرف وتركهما يرشفان من السعادة الزوجية الصافية ما شاء الله لهما أن يرتشفا.

مواقف من حياة الزهد:

ويذكر بعض أصحاب السير أن النبي خرج ذات مرة في سفر فوضعت فاطمة مسكتين من ورِق وقلادة وقرطين، وسترت باب البيت لقدوم أبيها وزوجها، فلما قدم النبي دخل عليها ووقف أصحابه علىٰ الباب لا يدرون أيقيمون أم ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج رسول الله وقد عرف الغضب علىٰ وجهه حتىٰ جلس علىٰ المنبر، ففطنت فاطمة أنه فعل ذلك لما رأىٰ من المسكتين والقلادة والستر، فنزعت قرطيها وقلادتها وميكتيها ونزعت الستر، وبعثت به إلىٰ رسول الله، وقالت للرسول: قل له: تقرأ عليك ابنتك السلام وتقول لك: اجعل هذا في سبيل الله، فلما أتاه قال: قد فعلت، فداها أبوها ثلاث مرات، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقىٰ الكافر منها شربة ماء.

ولم يكن لهما خادم مع كثرة الخدم عند الناس، بل كانا يتعاونان معًا في مهنة البيت، كما يتعاون رسول الله مع أهل بيته فيها.

وكان علي ﵁ يعمل أجيرًا في بعض الأحيان ليكسب قوته بيده، وكان يأتيه رزق وافر من وظيفته كجندي في جيش المسلمين ومن الغنائم التي يغنمها المسلمون من العدو في ميادين الجهاد، ولكنه كان ينفق ذلك كله في سبيل الله ولا يحتفظ لأهل بيته إلا بالكفاف ثقة بالله وتوكلاً عليه، وتفانيًا في طلب مرضاته.

وكانت تعيش معهما في هذا البيت المتواضع فاطمة بنت أسد زوج أبي طالب عم النبي ﷺ وأم علي ﵁ .

ذلك خير لكما من خادم:

عن عليٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما زوج فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحاءين وسقاءين قال: فقال عليٌ لفاطمة يومًا: لقد سنوت (**سنوت الدلو، أي: جررتها من البئر**) حتىٰ اشتكيت صدري وقد جاء الله بسبي فاذهبي فاستخدمي فقالت: وأنا والله قد طحنت حتىٰ مجلت يداي فأتت النبي فقال: ما جاء بك أي بنية؟ فقالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت، فأتياه جميعًا فذكر له علي حالهما، قال ﷺ: لا والله لا أعطيكما وأدع أهل الصُفّة تتلوىٰ بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكن أبيع وأنفق عليهم أثمانهم، فرجعا فأتاهما وقد دخلا قطيفتهما، إذا غطيا رؤوسهما بدت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما انكشفت رؤوسهما فثارا فقال: مكانكما، ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ فقالا: بلىٰ، فقال: تسبحان في دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أويتما إلىٰ فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا ثلاثًا وثلاثين، قال علي: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، (**وفي رواية فهو خير لكما من خادم**)[1].

خلافات الزوجية:

ولم تخلُ هذه الحياة -وما خلت حياة آدمي قط – من ساعات خلافات، فإذا حدث شيء من هذا فإنه ينقشع سريعًا بفضل حكمة الرسول ﷺ فقد كان يرقبهما بعين كلها عطف وحنان، وكان يعنىٰ بالنصح والتوفيق بينهما.

1- يروىٰ أن فاطمة أغضبت عليًّا فانصرف عنها إلىٰ المسجد، فجاء النبي ﷺ فسأل عنه فقالت: هو في المسجد، فخرج إليه فوجده مضطجعًا، وقد استغرق في النوم ووجد رداءه قد سقط عنه وخلص التراب إلىٰ ظهره، فجعل يمسح التراب وهو يداعبه قائلاً: «**اجلس يا أبا تراب... اجلس يا أبا تراب**» فكانت هذه الكنية التي أطلقها الرسول الرحيم لأحب الكنىٰ إلىٰ نفسه رضي الله عنه.

2- وقد روي – ولعل ذلك في بداية الحياة الزوجية – أن عليًّا اشتد عليها فقالت: والله لأشكونك إلىٰ رسول الله، فانطلقت وانطلق بإثرها فدخلت علىٰ أفضل الآباء ووقف عليٌ خارج الباب يسمع كلامها، فلما قدمت شكواها أخذ الرسول ﷺ

(1) رواه أحمد في مسنده 1/ 106، من حديث علي رضي الله عنه.

يعلمها في رفق ولين كيف تملك الزوجة زمام زوجها، وأنها لا تصبح أميرة في بيتها إلا إذا تصرفت بحيث تحوز رضا زوجها فتعمل علىٰ راحته وفق طبعه وهواه.

ومما يؤثر من بلاغته وحكمته في ذلك الموقف قوله لها: «**يا بنية اسمعي واستمعي واعقلي..إنه لا إمرة لامرأة لا تأتي هوىٰ زوجها**».

فلما سمع علي تلك النصيحة الموجزة البليغة شعر أنه جار عليها، وعاهد نفسه أن يكف عما كان يصنع، وقال لها: والله لا آتي ما تكرهين أبدًا.

3- وفي أحد الأيام بلغ العتاب بين الزوجين غايته، فقد نما إلىٰ فاطمة أن عليًّا يهم بالزواج من بنت أبي جهل، فذهبت إلىٰ أبيها باكية.....فصعد المنبر والغضب بادٍ عليه وقال: ألا إن بني هاشم بن مغيرة استأذنونىٰ في أن ينكحوا بنتهم عليًا، ألا وإني لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم إلا إن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإن ابنتي بضعة مني، يريبنىٰ ما يريبها ويؤذيني ما آذاها، وإني أتخوف أن تفتن في دينها.

وللقضية وجه آخر غير أن النبي ﷺ يكره أن تؤذىٰ ابنته -وهو أنه لا يرضىٰ أن يجمع بيت علي بين بنت رسول الله وبنت عدو الله.

لماذا فكر علي في هذا الزواج؟

لعله عرض عليه هذا الأمر فخجل أن يرفضه ولم يعطهم وعدًا بالزواج منها، فشاع الخبر وانتشر حتىٰ بلغ فاطمة فجاءت إلىٰ أبيها تستنجد به، وكان القوم قد سبقوا إلىٰ النبي ﷺ يستشيرونه في زواج علي من بنت أبي جهل فكره النبي ﷺ ذلك.

جهادها:

في يوم أحد جرح رسول الله ﷺ جرح وجهه، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة علىٰ رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان علي يسكب عليه بالمجَن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد إلا كثرة فأخذت قطعة حصير فاحرقته حتىٰ صار رمادًا ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم.

* وظلت تتعايش مع حياة الجهاد التي كان النبي ﷺ وأصحابه يعيشونها ما بين عبادة وطلب علم ودعوة إلىٰ الله وجهاد في سبيله.

ثم شهدت بعد ذلك غزوة الفتح، وكان لها موقف مشرف عندما رفضت أن تجير أبا سفيان لما طلب منها أن تشفع له عند رسول الله.

وفاة الحبيب ﷺ:

عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كنا أزواج النبي ﷺ اجتمعنا عنده، لم يغادر منهن واحدة فجاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فلما رآها رحب بها وقال: مرحبًا يا بنتي، ثم أقعدها عن يمينه أو يساره، فبكت، ثم سارّها فبكت، ثم سارها الثانية فضحكت، فلما قام قلت لها: خصّك رسول الله بالسر وأنت تبكين، عزمت عليك بما لي عليك من حق لما أخبرتني مم ضحكت؟ ومم بكيت؟ قالت ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ، فلما توفي قلت لها: عزمت عليك بما لي عليك من حق لما أخبرتنىٰ قالت: أما الآن فنعم، في المرة الأولىٰ حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام في هذه السنة مرتين، وإني لا أحسب ذلك إلا عند اقتراب أجلي، فاتقي الله واصبري، فنعم السلف لك أنا، فبكيت، فلما رأىٰ جزعي قال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين (**وفىٰ رواية: ثم أخبرني أنني أسرع أهله به لحوقًا**) قالت: فضحكت[1].

وبعد الوفاة:

ولما توفي أبوها تعلقت آمالها بميراثه، وجاءت تطلب ذلك من أبي بكر الصديق، فحدثها أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا نورث ما تركناه صدقة**» فوجدت عليه ثم تعللت (**أي تلهت عنه وتشاغلت**).

وروي أنه لما مرضت فاطمة أتىٰ أبو بكر فاستأذن، فقال علي: «يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليك، فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم.

قال الذهبي: عملت السنة، فلم تأذن في بيت زوجها إلا بأمره.

وفاتها:

كانت وفاتها بعد وفاة أبيها بستة أشهر، حيث دعت إليها أم رافع مولاة أبيها عليه الصلاة والسلام، فقالت لها بصوت واهن خفيضيا أماه اسكبي لي غسلاً .

واغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل، ثم لبثت ثيابًا لها جددًا، واضطجعت واستقبلت القبلة تتهيأ للقاء ربها ولقاء أبيها، ثم أغمضت عينيها ونامت، وقام علي فحملها باكيًا ودفنها ليلًا في البقيع، ثم ودعها وعاد محزونًا إلىٰ صغاره.

---

(1) أخرجه ابن عساكر (1/ 289)، والطحاوي في مشكل الآثار 7/ 413.

لقيت فاطمة ربها وهي في الثلاثين من عمرها أو دونها بقليل، ولكنها قد أدت للبشرية حقها في إنجاب الحسن والحسين ورقية وأم كلثوم رضي الله عنهم جميعًا.

خواطر وعبر:

1 – في نشأة السيدة فاطمة رضي الله عنها إرشاد لكل أب وكل أم حتىٰ يكون لهما «**شاب نشأ في طاعة الله**»، ورغم كون فاطمة البنت الصغرىٰ إلا أنها لم تكن المدللة التي لا تتحمل المسئولية؛ وإنما نشأت في زهد وجدية.

2 – حياء فاطمة كان واضحًا في يوم زفافها، وعندما استحيت أن تطلب الخادم من أبيها ولو كان غيرها مكانها لاشتكت وبكت لمعرفتها قدرها عند أبيها.

3 – **في قصة زواجها منارة لكل فتىٰ وفتاة وكذلك للآباء، ففيه:**

* التيسير في المهر.
* تبسط النبي صلى الله عليه وسلم مع زوج ابنته
* بساطة المسكن
* الوليمة التي بذل فيها المال، فهىٰ سنة النبي صلى الله عليه وسلم
* مجاملات العرس باب من أبواب التكافل لا من أبواب الديون
* الدعاء للعروسين بالبركة أمر هام، ودعاء الوالد لولده مستجاب.

4 – **تقدم لنا فاطمة النموذج الرائع في الزهد والتقشف، وهي سيدة نساء أهل الأرض:**

* في جهازها
* في عملها بالمنزل وإرهاقها رغم ضعف صحتها ونحول جسدها.
* زهدها في الحلي والذهب

5 – إن في ذكر الله تعالىٰ القوة لمن أرادها؛ قوة نفسية؛ روحية؛ وأيضًا جسمانية لكل امرأة تطلب من الله أن يعينها في كفاحها الدنيوي، وأنه لسكينة لقلبها ونعيم دائم لها في الآخرة.

6 – الخلافات الزوجية طبيعة الحياة الدنيا، ولا توجد حياة بلا خلافات إلا في الجنة؛ فعلينا إذن محاولة الحد من حدتها وجنوحها، وفي حياة فاطمة رضي الله عنها القدوة والمثل الأعلىٰ

7 – وقد علمها النبي صلى الله عليه وسلم –كما علم كل فتاة وامرأة– كيف تكسب قلب زوجها عندما قال لها « **لا إمرة لامرأة لا تأتىٰ هوىٰ زوجها** » وقد استجابت بالفعل، كذلك علىٰ

كل أب أن يوصىٰ ابنته بتلك الوصية الرائعة ، والتي تعد مفتاحا لباب السعادة الزوجية ، وهىٰ تشبه وصية الأم التي قالت لابنتها: « **كونىٰ له أمة يكن لك عبدا** »

8 -والعجيب أن عليًّا عندما سمعهما لم يتعالَ ويقول لها: أرأيت أنك أخطأت و.....و...ولكنه عزم علىٰ ألا يغضبها مرة أخرىٰ ، وهذا ينبع من نبل أخلاقه ، وصدق نيته ، وحبه لزوجه.

9- نلمس في حياة فاطمة وعلىٰ روح الحب والود والوفاء في كل دقيقة تمر من حياتهما الزوجية،وهىٰ هبة الله تعالىٰ ومنّته ، يعطيها من يشاء من عباده، وهذه رسالة لكل فتاة تتمنىٰ أن تمتد الرومانسية طوال حياتها مع زوجها لا في فترة الخطوبة فقط.

10- عمر خير نساء البشر كان قصيرًا؛ لكنه امتلأ نورًا يشع علىٰ البشرية إلىٰ يوم القيامة.

* * *

فاطمة بنت أسد

رضي الله عنها

(الحماة الطيبة)

فاطمة بنت أسد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(الحماة الطيبة)

من هي؟

هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمية والدة علي بن أبي طالب، وحماة فاطمة الزهراء، وهي أول هاشمية تزوجت هاشميًا وولدت خليفة.

حظيت برعاية النبي ﷺ حينما كفله أبو طالب، فكانت أمه بعد أمه؛ فهي من أعلم الناس وأخبرهم برسول الله، فقد قضىٰ قرابة عقدين من حياته في كنفها.

لقد قال النبي ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا –وأشار بالسبابة والوسطىٰ – وفرج بينهما» فما ظننا بامرأة كفلت أعظم وأطهر يتيم في الدنيا ألا وهو الحبيب ﷺ.

البركة في بيت فاطمة:

كان عيال أبي طالب إذا أكلوا جميعًا أو فرادىٰ لم يشبعوا، وإذا أكل النبي معهم شبعوا، فكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم أو يعشيهم يقول: كما أنتم حتىٰ يأتي ابني، فيأتىٰ رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيفضل من طعامهم.

وإن كان لبنًا شرب رسول الله ﷺ أولهم، ثم ناولهم فيشربون فيروون عن آخرهم، وإن كان أحدهم ليشرب قعبًا وحده.

نداء الإيمان:

استجابت فاطمة بنت أسد لنداء الإيمان منذ البداية، وأسلمت فحظيت بشرف الصحبة النبوية ومنَّ الله عليها بإسلام أولادها جميعهم وهم: عقيل و جعفر وعلىٰ وأم هانئ وطالب؛ بينما عظم علىٰ زوجها أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، واعتذر بقول رفيق فقال: لا تحملني من الأمر مللا ً أطيق.

في سبيل اللّه:

لقد كانت من السابقات المسارعات في الخيرات، وها هي تدفع بفلذة كبدها إلىٰ النبي ﷺ ولم تعارض تعريضه للخطر في العملية الفدائية العظيمة التي قام بها، حيث نام في فراش النبي ﷺ في الهجرة.

وقد صبرت واحتسبت عندما امتلأ قلبها حزنًا وهي تودع ابنها جعفر، وقد أمره النبي بالهجرة إلىٰ الحبشة، فلم تكن تعرف كيف يكون مصيره في بلد غريب، وماذا ستفعل فيهم قريش وهي تتعقبهم، ولكنها قدمت أبناءها في سبيل الله.

– ولقد صبرت فيمن صبر من النساء عند الحصار في شعب أبي طالب تبتغي بذلك رضوان الله.

– ولقد هاجرت مع من هاجر لتنال أجر المهاجرين الذين تركوا أموالهم وديارهم.

الحماة الطيبة:

لما تزوج علي فاطمة بنت رسول الله كانت فاطمة بنت أسد مثالًا عظيمًا للحماة الطيبة والأم الرحيمة، فكانت تحب بنت رسول الله ﷺ حبًا شديدًا، وتتعاون معها في أعمال البيت.

قال علي رضي الله عنه : قلت لأمي فاطمة بنت أسد: اكفي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك خدمة الداخل الطحن والعجن.

مكانتها:

كان رسول الله ﷺ يكرمها لبرها به ولسابقتها في الإسلام، فكان يزورها ويقيل في بيتها بالمدينة، كما كان بيتها في مكة مآبًا طيبًا وملاذًا كريمًا له.

كانت موصولة القلب بالله عز وجل كما أن صلتها بالنبي أضافت إلىٰ شخصيتها مكرمة حفظ الحديث وروايته، فقد روت عن النبي 46 حديثًا أخرج لها منها في الصحيحين حديث واحد متفق عليه.

* عن علي قال: أهدي لرسول الله ﷺ حلة إستبرق فقال: اجعلها خمرًا بين الفواطم – يقول علىٰ– فشققتها أربعة أخمرة..خمارًا لفاطمة بنت رسول الله، وخمارًا لفاطمة بنت أسد، وخمارًا لفاطمة بنت حمزة، ولم يذكر الرابعة.

لقد كانت لفاطمة بنت أسد مكانة في نفوس الصحابة، فها هو الحجاج بن علاط السلمي يمدح عليًّا ويذكر أمه فاطمة في شعر جميل.

رحلة الخلود:

لقد كان حظ فاطمة بنت أسد حظًا مباركًا في حياتها وعند وفاتها، وحظيت بالتكريم إذ ماتت في حياة النبي ﷺ وشهدها وتولىٰ دفنها.

لما توفيت فاطمة بنت أسد أم علي دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس علىٰ رأسها فقال: «**رحمك الله يا أمي فقد كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعينىٰ، وتعرين وتكسينني وتمنعين نفسك طيبها وتطعمينني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة**».

ثم إن رسول الله صبّ الماء الذي فيه الكافور عليها بيده، وخلع قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ولما حُفر قبرها وبلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه، فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه ثم قال:

«**الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين**» ثم كبر عليها أربعًا، ثم أدخلها لحدها بمشاركة العباس وأبي بكر رضي الله عنهما.

وقد ألبسها النبي قميصه لتكسىٰ من حلل الجنة، واضطجع في قبرها ليهون عليها ضمة القبر.

وقد أعفيت فاطمة من ضغطة القبر إكرامًا لرسول الله ﷺ فكان حقًا علىٰ القبر إن يشرق بنور الله، ويفيض برحمته علىٰ امرأة كانت قدوة رائعة لكل النساء.

خواطر وعبر:

1- لقد كفلت فاطمة محمدًا ﷺ وهو يتيم، وآثرته علىٰ نفسها فكافأها الله بأن هداها وأحسن خاتمتها.

2- رغم رفض زوجها لأن يسلم إلا أنها لم تتردد في السبق إلىٰ الإسلام، وفي ذلك أكبر دلالة علىٰ نقاء سريرتها وقوة شخصيتها، فلم تكن مجرد تابع لزوجها.

3- كان إسلامها بركة علىٰ أهل بيتها جميعًا، فكانوا دعامات رئيسية لهذا الدين بفضل تربيتها وتشجيعها لهم.

4- كانت مكانتها عظيمة، حيث نصرت الحق في بدايته، ولم يكن قد ظهر الإسلام بعد، فعلىٰ المرء أن ينصر الحق مهما زاد أعداؤه ومهما قل أنصاره.

5- نحن أمام نموذج زكي لبيت العائلة –عائلة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيت قد شغل بمعالي الأمور عن سفاسفها، فلم يعد هناك مكان للمشاجرات التافهة بين الحماة والزوجة.

6-* نلاحظ اهتمام رب البيت – الزوج – بشئون البيت البسيطة وتقسيم أعمال المنزل بين أمه وزوجته.فعلاقة الحماة بالزوجة مسئولية الزوج.

فما بال بعض الرجال يتركون البيت تمامًا ويترفعون عن التدخل في شئونه مهما بلغ حجم الخلافات؟ وما بال البعض الآخر يترك زوجته لأمه كأنه أتىٰ لها بخادمة؟ والبعضثالث يجنح تماما ًإلىٰ زوجته غافلا ًومتغافلا ً حق أمه في البر....

7-.فهلا نتعلم من قصة فاطمة بنت أسد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ؛ حتىٰ تكون الحماة أما تحتضن ابنيها «**الزوج والزوجة** » ،وحتىٰ يعود بيت العائلة سكنا واحتواءا للأسرة الناشئة حتىٰ يشتد عودها ، لا أن يكون وبالًا عليها ، ونارًا تضطرم فتنسفها قبل أن تنبت.

8- رأينا في هذه القصة الوفاء كل الوفاء من النبي الكريم ﷺ لهذه السيدة، حيث كان يقيل عندها في المدينة، فرغم انشغالاته المستمرة يشعرها بأنه لم يزل ابنها الذي يحبها.

❋ ❋ ❋

صفية بنت عبد المطلب

(الشجاعة القوية)

صفية بنت عبد المطلب

(الشجاعة القوية)

هي عمة رسول الله ﷺ وشقيقة حمزة أسد الله كانت من أولئك الذين أقبلوا على الإسلام طائعين بقلوب واعية وهمم عالية، وقد كان إسلام صفية مبكرًا – عندما دعا رسول الله ﷺ عشيرته الأقربين فخصّ ابنته فاطمة وعمته صفية بما أمره الله بتبليغه.

تربيتها لابنها:

هي أم الزبير بن العوام أول فارس سلّ سيفًا في سبيل الله، نشّأته بعد وفاة أبيه على الفضائل والمثل العليا، ودربته على فنون القتال، وعلمته الكر والإقدام، فشب بّطلاً مغوارًا، وورث أبناؤه منه الخلق الفاضل والشجاعة النادرة.

شاعرة الهاشميات:

كان شعرها يتدفق من فمها فياضًا بالمعاني الرائعة، ويمتاز بالرقة وصدق العاطفة وروعة الحماسة؛ فقد ورد أنها كانت تهدهد ابنها الزبير وتشجعه بشعر يسيل حماسة وبسالة.

ثباتها وجلدها:

1) عند مقتل أخيها حمزة أسد الله في غزوة أحد رآها رسول الله ﷺ مقبلة تنشده بين القتلى، فقال لابنها الزبير: ردها عن رؤيته فقال لها: يا أمة إن رسول الله يأمرك إن ترجعي، فدفعته في صدره وقالت: ولم؟ قد بلغني أنه قد مُثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضاني بما كان في الله من ذلك لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله تعالى، فجاء الزبير فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: خلِّ سبيلها – فجاءت واسترجعت واستغفرت له وقالت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، حسبي الله ونعم الوكيل، غفر الله لك يا أخي وجزاك جزاء عباده الصالحين.

2) شاركت صفية المجاهدين في أكثر الغزوات خلف رسول الله ﷺ تسقي الجند، وتداوي الجرحى وترقب العدو هنا وهناك.

ولما بلغت الستين من عمرها لم يعقها كبر السن عن تأدية ما رأته واجبًا في حماية الدين. ولم تكن صفية تقف من القتال موقفًا سلبيًا وتكتفي بالسقاية والتمريض، ولكنها كانت تقاتل إذا اقتضىٰ الأمر ذلك، فحينما رأت المسلمين في أحد ينهزمون ويفر أكثرهم ألقت سقايتها، وانتزعت من أحد المنهزمين رمحه، تواجه العدو وهي تزأر بالفارين قائلة: ويحكم، انهزمتم عن رسول الله!!

3) وفي غزوة خيبر كان لها شأن عظيم، فقد اتخذت لها مع رفيدة الأسلمية خيمة تداوي فيها المصابين؛ ولهذا جعل رسول الله ﷺ لها ولأمثالها نصيبًا من الغنائم تكريمًا لهن.

بطولة نادرة:

أن تتصدىٰ امرأة لرجل فتزجره شيء متوقع، أما أن تقتل رجلاً في وقت حرج كان الناس في فزعهم، وزلزال قلوبهم وتذبحه فتفصل رأسه عن جسده فشيء عظيم !!

حدث هذا في غزوة الأحزاب، حيث بدأت جموع الأحزاب حول المدينة تؤجج نيران الرعب في قلوب المسلمين، وبدأ المتحمسون الغادرون من يهود بني قريظة ينزلون من حصونهم إلىٰ منازل المدينة يريدون إرهاب النساء وبث الفوضىٰ في صفوف المسلمين.

كانت صفية مع المؤمنين في حصن لحسان بن ثابت، فمر يهودي يطوف بالحصن، وكانت صفية قد جعلت نفسها رقيبًا يرصد من يحوم حول الحصن فأخبرت بذلك حسان بن ثابت قائلة: إني والله ما آمنه أن يدل علىٰ عورتنا من وراءنا من اليهود، وقد شُغل رسول الله ﷺ فانزل إليه فاقتله.

قال حسان بن ثابت: يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب، والله لقدعرفت ما أنا بصاحب هذا، عندها أخذت عمودًا ونزلت من الحصن، وضربت اليهودي حتىٰ قتلته فضربته علىٰ رأسه ضربة أردته قتيلا ً ، ثم رجعت إلىٰ الحصن فقالت لحسان: ها قد قتلت اليهودي فاذهب فاسلبه فما يمنعني من سلبه إلا أنه رجل وأنا امرأة،

وقيل: إنها احتزت رأسه بسكين، وقذفت بها من الحصن، فطفق يتدحرج علىٰ سفحه حتىٰ استقر بين أيدي اليهود الذين يتربصون من أسفله، فلما رأىٰ اليهود رأس صاحبهم قال بعضهم لبعض: قد علمنا أن محمدًا لم يكن ليترك النساء والأطفال من غير حماة، ثم عادوا أدراجهم.

ولما علم النبي ﷺ بما كان. قالت صفية: «**فضحك رسول الله ﷺ حتىٰ رأيت أقصىٰ نواجذه، وما رأيته ضحك من شيء قط ضحكه منه**»(1).

في مقعد صدق

هكذا عاشت صفية وهي تؤثر رضىٰ الله علىٰ كل شيء، وظلت وفية بما عاهدت حتىٰ توفيت سنة 20 هـ في خلافة عمر ﷺ عن 73 سنة، ودفنت بالبقيع ﷺ.

خواطر وعبر

1- كانت صفية قدوة في الصبر والجلد في حين كانت النساء في الجاهلية يفعلن الأفاعيل عند فقد الأحبة كما يحدث في جاهلية العصر في مثل هذا الموقف.

2- قدوة في تربية ورعاية المجاهد منذ الصغر، وكم نحن في أمسّ الحاجة إلىٰ ذلك الآن، وأن نطرح الدعة والتدليل الزائد لأبنائنا الأبطال، فالمستقبل ينتظر منهم بطولة الزبير وشجاعته.

3- بدا واضحًا شعور صفية بالمسئولية تجاه من معها دون أن يكلفها أحد بذلك، فهىٰ قدوة لكل مسلمة قوية.

4- في موقفها مع اليهودي كانت حكيمة في اتخاذ القرار وعدم العجلة في التصرف، ونلاحظ أنها لم تخبر أحدًا من النساء حتىٰ لا تحدث بلبلة وينكشف أمرهن لليهود.

5- في شجاعتها وجرأتها ما يثير الدهشة والانبهار ، وما نتطلع إليه في عصرنا الحاضر، لتشارك المرأة في تحرير الأوطان ، ونصرة الحق.

6- يظهر في عدم تعرضها لسلب الرجل مدىٰ ما تتحلىٰ به من العفة والكرامة والحياء، وفىٰ هذا بلاغ لكل مسترجلة أن البطولة لا تعني إن تجلس وسط الرجال كأنها واحد منهم.

* * *

(1) أخرجه ابن عساكر (12/ 433).

أمامة بنت أبي العاص

(حبيبة الحبيب)

أمامة بنت أبي العاص

(حبيبة الحبيب)

أبوها هو أبو العاص بن الربيع، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ، ونشأت نشأة مبكرة طيبة رغم الظروف التي أحاطت بها منذ الصغر وإلىٰ أن توفاها الله تعالىٰ.

بين أبيها وأمها:

لقد أسلمت أمها زينب وآمنت وصدقت بما جاء به أبوها رسول الله ﷺ، ولكن أباها أبا العاص بن الربيع ظل علىٰ شركه، وأقامت معه زينب وهو مشرك حتىٰ هاجر الرسول ﷺ.

أخذت زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ترضع ابنتها حب الله ورسوله، وتغرس فيها فضائل الأخلاق.

وأما أبوها فقد كان ذا خلق قويم، كان حنونًا عطوفًا عليها، وكان يحب أمها زينب حبًّا جمًّا، حيث رفض أن يطلقها كما أمره زعماء قريش عندما أرادوا أن يكيدوا لمحمد ﷺ في بداية الدعوة إلىٰ الله، والعاص هو ابن اخت خديجة بنت خويلد.

بعد الهجرة:

عاشت أمامة مع أبيها وأمها في مكة، بينما هاجر رسول الله ﷺ والمؤمنون إلىٰ المدينة، فأصاب زينب حزن شديد لفراق أبيها وأخواتها: فاطمة ورقية وأم كلثوم.

وازدادت حزنًا عندما خرج زوجها أبو العاص إلىٰ المدينة مع صناديد قريش ليحارب رسول الله، فجلست تفكر وتدعو الله أن يفرج عنها ذلك الكرب.

أمامة تهاجر مع أمها:

في غزوة بدر أسر أبو العاص مع من أسرمن قريش، فبعثت زينب قلادتها إلىٰ رسول الله ﷺ لتفتدي زوجها، فلما رآها الرسول رقّ لها بشدة وقال لأصحابه: **(إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا)**[1].

قالوا: نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذي كان لها.

---

(1) رواه أبو داود في سننه 2/ 68، رقم (2692)، باب في فداء الأسير بالمال، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وحسنه الشيخ الألباني.

وكان النبي ﷺ قد أخذ علىٰ أبي العاص عهدًا أن يخلي سبيل ابنته، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه فقال: كونا ببطن يأجج حتىٰ تمر بكما زينب فتصحباها حتىٰ تأتياني بها، ففعلا.

فلما قدم أبو العاص مكة أوفىٰ بعهده، فأمرها أن تلحق بأبيها، فخرجت تجهز سريعًا وقدم لها كنانة بن الربيع أخو زوجها بعيرًا فركبته، ثم خرج بها نهارًا وهي في هودج لها، وتحدث بذلك رجال قريش فخرجوا في طلبها، وحاولوا منعها من الهجرة فرجع بها كنانة، ثم عاود الخروج ليلاً حتىٰ أسلمها إلىٰ زيد بن حارثة وصاحبه فقدما بها إلىٰ رسول الله ﷺ.

أمامة في رحاب الحبيب:

عاشت أمامة في رحاب النبي ليغدق عليها من عطفه وحنانه، فلقد كانت أول حفيدة للنبي.

لقيت أمامة من النبي ﷺ الرعاية، وأفاض عليها من حبه ما جعله يحملها في الصلاة، فقد ورد في الصحيح عن أبىٰ قتادة قال: «**بينما نحن ننتظر رسول الله في الظهر أو العصر وقد دعاه بلال للصلاة إذ خرج الينا وأمامة بنت أبي العاص بنت ابنته علىٰ عنقه، فقام رسول الله ﷺ في مصلاه، وقمنا خلفه وهي في مكانها الذي هي فيه**»(1).

*وهذا يشير إلىٰ مدىٰ اهتمام النبي ﷺ بالأطفال ومراعاة طفولتهم حق رعايتها في ضوء هدىٰ الإسلام.

أحب أهلي إليّ:

«**روت أم المؤمنين عائشة أن النجاشي أهدىٰ إلىٰ النبي ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب فصه حبشي فأعطاه أمامة رضي الله عنها**».

أُهدي لرسول الله ﷺ قلادة من جزع – خرز –ملمعة بالذهب ونساؤه مجتمعات في البيت كلهن، وأمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ تلعب في جانب البيت بالتراب، فقال رسول الله ﷺ: (**كيف ترين هذه؟**) فنظرن إليها فقلن: يا رسول الله ما رأينا أحسن من هذه ولا أعجب !. فقال: (**اردنها إلي**)، فلما أخذها قال: (**والله لأضعنها في رقبة أحب أهل بيتىٰ إليّ**).

---

(1) رواه أبو داود في سننه 1/ 305، رقم (920)، باب العمل في الصلاة، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

قالت عائشة: «**فأظلمت عليّ الأرض بيني وبينه خشية أن يضعها في رقبة غيري، منهن ولا أراهن إلا قد أصابهن مثل الذي أصابني، ووجمن جميعًا، فأقبل حتىٰ وضعها في رقبة أمامة بنت أبي العاص فسري عنا**»(1).

وفي هذا منقبة عظيمة لأمامة حتىٰ كادت أم المؤمنين عائشة تغار منها.

أبو أمامة يعود إليها:

فلقد أقام أبو العاص في مكة، وأقامت زينب وابنتها في المدينة حين فرق الإسلام بينهما،حتىٰ إذا كان قبيل الفتح خرج أبوالعاص تاجرا إلىٰ الشام، وكان رجلا ً مأمونًا بمال له وأموال الرجال من قريشفلما فرغ من تجارته وأقبل قافلا ً لقيته سرية لرسول الله ﷺ فأصابوا ما معه، وهرب أبو العاص حتىٰ دخل علىٰ زينب فاستجار بها، فأجارته فأقر الرسول إجارتها، وقال لها: أي بنيه أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له.

وقد رد الصحابة إلىٰ أبي العاص ماله وما كان معه إكرامًا لرسول الله ولابنته، ولكرم أبي العاص ووفائه عندها أسلم أبو العاص ورد النبي علىٰ أبي العاص زوجه زينب، وفرح بإسلامه فرحًا شديدًا، واكتملت سعادة أمامة بالعيش مع أبيها وأمها في جوار الحبيب ﷺ.

أمامة تفقد أمها:

لم تدم سعادة أمامة بعيشها بين أبويهاطويلا ً ؛ إذ نامت أمها زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا علىٰ فراش الموت في بداية السنة الثامنة من الهجرة، وكانت مريضة منذ هجرتها من مكة إلىٰ المدينة.

وحزنت أمامة لموت أمها حزنًا شديدًا، وضمها العاص إلىٰ صدره في حنان، وأخذ يمسح عن عينيها الدموع.

وكان رسول الله ﷺ يكرم أمامة، فقد وجد فيها ما يخفف عنه حزنه علىٰ زينب.

وقد عاشت أمامة في كنف خالتها فاطمة الزهراء بعد فقد أمها، فكانت تكرمها وتحنو عليها.

أمامة تفقد جميع أهلها:

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة انتقل الحبيب ﷺ إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، وأعقب

---

(1) رواه الطبراني في الكبير 22/ 442، رقم (1080)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ذلك وفاة خالتها فاطمة الزهراء؛ ثم توالت الأحزان علىٰ أمامة ففقدت أبيها أبي العاص في السنة الثانية عشرة من الهجرة.

وجلست أمامة تفكر في تلك الدار التي كانت بالأمس القريب عامرة بالأحباب، ولكنها كانت تشعر بأن الله سيكرمها.

زواجها:

لما توفي أبو العاص بن الربيع كان قد أوصىٰ بابنته أمامة إلىٰ ابن خاله الزبير بن العوام، وقد زوّجها الزبير من علي بعد وفاة خالتها فاطمة، وكانت فاطمة أوصت عليًّا أن يتزوجها فتزوجها في خلافة عمر ﵁، وبقيت عنده حتىٰ قتل فتأثرت كثيرًا لمقتله.

وكان عليّ قد قال لأمامة لما حضرته الوفاة: إن كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرًا.

فلما انقضت عدتها خطبها معاوية، فأرسلت أمامة إلىٰ المغيرة إن كان لك حاجة فأقبل، فتقدم المغيرة وخطبها من الحسن بن علي، فتزوجها منه، وأقامت أمامة معه حتىٰ ماتت في خلافة معاوية، ولم تلد لعلي ولا للمغيرة.

وبموت أمامة انقطع عقب زينب ابنة رسول الله ﷺ، وليس لزينب ولا لرقية ولا لأم كلثوم عقب وإنما العقب لفاطمة ﵂.

خواطر وعبر:

1- عندما يملأ الإيمان قلوب أفراد المجتمع، ويشعر كل فرد بمسؤليته فلا يعيش لنفسه فقط ولا لنزواته ومتعته فقط.

عندما يقوىٰ ضمير المجتمع لا يضيع فيه الصغير الذي أجبرته الحياة علىٰ اليتم أو الوحدة، أو نشأ في ظروف عصيبة.

حينما نرعىٰ صغارنا ونحتضنهم....الأقرب فالأقرب من عائلاتهم فإننا نضمن مستقبلاً مجيدًا لبلادنا ومجتمعاتنا...لن نجد فيهم عند ذلك شريدًا ولا سارقًا ولا مجرمًا.

2- لننظر ونتأمل كيف كان النبي ﷺ يرعىٰ الصغار مع كثرة مشاغله ومسئولياته، فاعتبروا يا أولي الألباب.

3- نستطيع أن نستخلص القدوة من النبي ﷺ في طريقة التربية للصغار **فيما يلي**:

أ) كان يحملها في الصلاة، ولا يخجل من ذلك أو يترفع عنه كرجل.

ب) كان يعطيها المزيد من الحنان متفهمًا حاجة الأنثىٰ إلىٰ حنان أبيها أو جدها أو خالها أو عمها.

ج) الهدية تسعد الصغير، وتشعره بأهمية وجوده بين الأبوين.

د) كان النبي ﷺ يعيش حياة أمامة كأنثىٰ فيهدي لها ما تحبه وتفرح به.

هـ) كان يعطيها الاهتمام، ويبلغها مشاعره عندما قال أمام الجميع أنها أحب أهله إليه.

و) الأسلوب الذي قدم به الهدية كان أسلوبًا مثيرًا مشوقًا جاذبًا للانتباه.

❊❊ والتربية بهذه الطريقة تجعل الابنة قريبة كل القرب من أهلها، فيسهل تعليمها وإكسابها للخصال الطيبةكما كانت أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

4- ما يلفت النظر أن فاطمة أوصت عليًّا بالزواج من أمامة، ثم أوصىٰ علي بزواجها من المغيرة، وفي ذلك رعاية بالغة لها حتىٰ في الكبر كما أنه يوحي بالهدف الرئيسي من الزواج عند الصحابة ألا وهو المسؤلية – فكل فرد من المسلمين يبحث عن المسؤلية.

5- نلاحظ فارق السن بينها وبين علي - كما أتوقع – وقد يكون في ذلك حكمة في تعويض الابنة فقد أبيها.

❊ ❊ ❊

أم أيمن الحبشية

(الأم الحنون)

أم أيمن الحبشية
(الأم الحنون)

من هي؟!

إنها أم أيمن الحبشية، مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو، ورثها النبي ﷺ من أبيه مع خمسة جمال وغنم، وقد كانت أسيرة في السبي الذي كان في جيش أبرهة، فأخذها عبد المطلب ثم أعتقها النبي ﷺ عندما تزوج بخديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

«هذه بقية أهل بيتي»:

من أوائل المواقف الوضيئة لأم أيمن موقفها الرائع يوم إن ماتت آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ، فقد توفيت آمنة بالأبواء[1]، وهي عائدة من زيارة أخواله بني النجار بالمدينة المنورة، وكانت أم أيمن بصحبتها في هذه الزيارة.

وفي تلك اللحظات الحرجة الأليمة، ظهرت أم أيمن بعطفها وبرّها برسول الله ﷺ الذي كان طفلاً في السادسة، وعادت به إلىٰ مكة وحيدًا يتيمًا حزينًا علىٰ فراق أمه آمنة.

وفي سجلّ المودة الإنسانية النّاصع، تبرز أم أيمن لتسجل أروع الأعمال في حضانة النبي ﷺ، وعنايتها الفائقة به.

وقد نشأ رسول الله ﷺ وهو يرىٰ أم أيمن تتحفه وتكرمه وتبرُّ به؛ ولهذا كان يقول لها:(**يا أمّه**)، وإذا نظر إليها قال: (**هذه بقية أهل بيتي**)[2].

مشاركة النبي في الأفراح والأحزان:

كانت أم أيمن تفرح بأي شيء يدخل السرور والسعادة علىٰ قلب النبي ﷺ، وتحزن إذا حدث ما يدخل الحزن علىٰ قلبه، فهي تشارك الحبيب فرحته بزواج (**علي**) من (**فاطمة**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فتقوم مع أسماء بنت عميس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بتجهيز فاطمة لزوجها علي.

---

(1) قرية بين مكة والمدينة.

(2) رواه الحاكم في المستدرك 16/ 201، رقم (7012)، عن شيخ من بني سعد بن بكر.

وها هي عند وفاة زينب بنت الرسول ﷺ تقوم بالمعاونة في الغسل والتكفين، وقد امتلأ قلبها حزنًا لفراقها.

بل وها هي مرة أخرىٰ تقوم وتدافع عن أمنا عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك.

بركة تحدثنا عن بركة الحبيب:

كانت أم أيمن تحدث عن هذه البركه التي وجدتها في محمد ﷺ وهو صغير فتقول: **(ما رأيت رسول الله ﷺ شكا جوعًا قط ولاعطشًا، فكان يغدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول: لا أريد أنا شبعان)**.

أزواجها وأولادها:

عندما تزوج النبي ﷺ خديجة أعتق مولاته أم أيمن، فتزوجها عبيد بن زيد الخزرجي، فولدت له أيمن بن عبيد، لكن عبيد أبىٰ إن يسلم ففرق الإسلام بينهما، ثم تزوجها زيد بن حارثة ليالي بعد النبي ﷺ، فولدت له أسامة بن زيد حبّ رسول الله وابن حبه رضي الله عنهما.

وفي هذه الأثناء كان رسول الله ﷺ يزورها في بيتها، ويذكر فضلها ويقول: **(أم أيمن أمي بعد أمي)**(1).

ولما قام النبي ﷺ يدعو إلىٰ الله عز وجل وإلىٰ الإسلام، كانت أم أيمن من السابقات إلىٰ التصديق، ذكر صاحب السيرة الحلبية نقلاً عن ابن كثير قوله:الظاهر إن أهل بيته ﷺ آمنوا قبل أحد، خديجة وزيد وزوجة زيد وأم أيمن وعلي رضي الله عنهم.

وينبغي إن تكون أم أيمن سابقة في الإسلام علىٰ من سواها من نساء الصحابه، لما عهدته من الإشراقات النبوية قبل المبعث. قال عنها ابن الأثير: أسلمت قديمًا أول الإسلام.

جهادها:

1- وكغيرها من أوائل المؤمنين والمؤمنات لاقت العذاب والأذىٰ من قريش بسبب إسلامها، فهاجرت الهجرتين إلىٰ الحبشة ثم إلىٰ المدينة.

2- ولما كانت غزوة أحد خرجت أم أيمن مع من خرج من النساء لمداواة الجرحىٰ، وسقاية الذين يجاهدون في سبيل الله. وكان لها موقف مشرّف في يوم أحد؛وذلك

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير 24/ 351، رقم (871)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

عندما خالف الرماة أمر الرسول، واستطاع المشركون إن يقتلوا عددًا كبيرًا من الصحابة، وانهزم البعض الآخر، فقامت أم أيمن تحثي في وجوههم التراب، وتقول لبعضهم: هاك المغزل فاغزل به، وهلم سيفك، ثم اتجهت نحو رسول الله تستطلع أخباره في نسوة معها حتىٰ اطمأنت علىٰ سلامته، فحمدت الله عز وجل.

3- وفي غزوة خيبر خرجت أم أيمن لتقدم ما تستطيع أن تقدمه لدين الله جل وعلا. ولكن ابنها أيمن ﷺ قد تخلف عن غزوة خيبر لعذر منعه من الخروج، فظنت أنه جبن فعيّرته بالجبن والخوف، ولم تعرف أنه لم يستطع الخروج لمرض فرسه.

4- ويوم حنين كانت في ركب المجاهدين مع ولديها أيمن وأسامة رضي الله عنهما ، وكان ولداها من المائة الصابرة التي ثبتت حول النبي ﷺ يومئذٍ، وسقط أيمن شهيدًا، ولم يزدها استشهاده إلا إيمانًا وتسليمًا.

5- وفي مجال الصبر والتسليم لقضاء الله عز وجل كانت أم أيمن ممن ضربن أروع الأمثلة في ذلك، ففي سريّة مؤتة؛ كان زوجها زيد بن الحارث أميرًا علىٰ الجيش الغازي في سبيل الله، وكان أول الشهداء، وتلقت نبأ استشهاده بنفس راضية صابرة، واحتسبته عند الكريم المتعال.

معجزة لأم أيمن:

عن عثمان بن القاسم قال: «**لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء، فعطشت وليس معها ماء وهيٰ صائمة، وجهدت فدلىٰ عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فشربت وكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش....ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت**».

مكانتها ومزاح النبي معها:

لأم أيمن رضي الله عنها مكانة عظيمة وقدر كبير عند النبي ﷺ، يكفيها من الفضل أنه كان يقول فيها: (**من سرّه أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن**)[1]. وهذا مما عظّمها في عين زيد بن حارثة فتزوجها رضي الله عنهما.

وما زال رسول الله ﷺ يناديها (**يا أمّه... يا أمّه**) كلما رآها أو تحدث إليها، وكان يصغي اليها، ويعطف عليها ويأنس بها ويمازحها؛ فقد سمعها في يوم حنين تدعو الله

---

(1) رواه ابن عساكر عن سفيان بن عقبة مرسلاً، وابن سعد في الطبقات 8/ 224.

عز وجل بلكنتها الأعجمية: (**سبّت الله أقدامكم**)، فلم تنسه الغزوة القائمة أن يصغي إليها ويداعبها بين صهيل الخيول وصليل السيوف، وأقبل عليها يقول: (**اسكتي يا أم أيمن، فإنك عسراء اللسان**)[1].

ويبدو أن اللكنه الأعجمية عند أم أيمن قد تحكمت في لسانها، وأعاقتها عن النطق الصحيح، من ذلك مارواه أبو جعفر الباقر قال: كانت أم أيمن إذا دخلت علىٰ النبي ﷺ قالت: سلام لا عليكم – بدلًا من سلام الله عليكم – فرخّص لها أن تقول: السّلام.

وعن أنس قال: انطلق بنا رسول الله ﷺ إلىٰ أم أيمن فانطلقت معه، فناولته إنـاء فيه شراب، فلا أدري أصادفته صائمًا أو لم يرده. فجعلت تصخب عليه وتذمر عليه[2].

قال الإمام النووي: معنىٰ الحديث: أن النبي ﷺ رد الشراب عليها إما لصيام، وإما لغير ذلك، فغضبت وتكلمت بالإنكار والغضب، وكانت تدل – تتدلل – عليه لكونها حضنته[3].

وفاة الحبيب:

لما توفي رسول الله ﷺ، وقفت أم أيمن والحزن يملأ قلبها، والدموع تفيض من عينيها، فجاشت عاطفتها البريئة، ورثته بقصيدة جميلة.

ومن المثير والممتع أن تنطق أم أيمن بالشعر والحكمة وهي عسراء اللسان، ولكن هذا لم يؤثر علىٰ عقلها وقلبها وحكمتها، وفي هذا دليل علىٰ العلم النبوي الذي تأثرت به من رسول الله.

ومما يدل علىٰ علمها وفضلها وعقلها الوافر ما أخرجه مسلم بسنده عن أنس ﵁ قال: قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله لعمر: انطلق بنا إلىٰ أم أيمن نزورها كما كان رسول الله يزورها، فلما انتهينا إليها بكت.

فقال لها: مايبكيك؟ ماعند الله خير لرسوله.

فقال: ما أبكي ألّا أكون أعلم أن عند الله خير لرسوله، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء.

---

(1) أخرجه ابن سعد عن أبي الحويرث 8/ 225.

(2) رواه مسلم في صحيحه 4/ 1907، رقم (2453)، باب من فضل أم أيمن ﵂، من حديث أنس ﵁.

(3) انظر: شرح النووي علىٰ صحيح مسلم 16/ 9.

فهيجتهما علىٰ البكاء، فجعلا يبكيان معها[1].

وظلت أم أيمن تحظىٰ بالمكانة الكبيرة في حياتها، وبعد موتها، وكذلك أحفادها الذين ينسبون إلىٰ ولاء الرسول، فكان يقول لهم: بنو الحب.

وداعًا أيتها الرؤوم:

ومع وداع أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تعالوا نذكر فضيلة باهرة لها، وهي رواية الحديث؛ فقد روت عن النبي خمسة أحاديث، وروىٰ عنها أنس بن مالك، وحنش بن عبدالله الصنعاني، وأبو يزيد المدني.

وفاتها:

أمّا عن وفاة أم أيمن، فقال الذهبي وابن حجر رحمهما الله أنها توفيت بعد النبي بخمسة أشهر.

رضي الله عن أم أيمن من أهل الجنة، وجعلها في أصحلب اليمين.

ملامح شخصية أم أيمن:

1- الحنان والعطف والرحمة فقد كانت كذلك مع النبي وهو صغير رغم أنها لم تكن تعرف نبوته بعد.

وكذلك رقة قلبها عندما بكت لانقطاع الوحىٰ من السماء – وأعتقد أن أحدًا لم يفكر في هذا قبلها.

2- الفطرة السليمة التي جعلتها تسارع إلىٰ الإسلام.

3- خفة الظل التي تبدو في مزاحها مع النبي ﷺ وأصحابه وهي تبدو لىٰ شخصية بسيطة لطيفة مرحة.

4- الصبر والرضا بقضاء الله وأنا أتصور معاناتها من رق العبودية من قبل ثم جهادها بعد ذلك في ظل الإسلام.

خواطر وعبر:

1- الفطرة السليمة تجعل صاحبها يتفانىٰ في تقديم المعروف بحب دون انتظار المقابل.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه 4/ 1907، رقم (2454)، باب من فضل أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

2 – البساطة واللطف في التعامل مع الآخرين سمة أصيلة فيمن تحلىٰ بخلق الاسلام

3 – التسليم لقضاء الله والرضا به ربًا وإلهًا يذلل عقبات الحياة.

* * *

الشفاء بنت

عبد الله

(الطبيبة النفسية)

الشفاء بنت عبد الله

(الطبيبة النفسية)

من هي؟!

هي الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية العدوية، تكنّىٰ أم سليمان، وهي زوج أبي حثيمة بن حذيفة بن غانم القرشي العدوي، ولدت له سليمان بن أبي حثيمة، وكان سليمان فاضلاً ديناً خيّراً، له مكانة بين رجال الإسلام.

رخصة طبية نبوية:

الشفاء صحابية جليلة القدر، عرفت بالفضل، وجودة العقل والرأي، أسلمت قديمًا مع السابقات الأول، فكتبت لها أسباب السعادة، وفازت بفضيلة السبق إلىٰ الإيمان، كما فازت بالسبق إلىٰ الهجرة، فكانت من المهاجرات الأول أيضًا، وبايعت النبي ﷺ مع من بايع من نساء الصحابة رضي الله عنهم جميعًا.

وكانت الشفاء رضي الله عنها إحدىٰ النساء والقرشيات ممن يعرفن الكتابة والقراءة – وكن قليلات – ولهذا السبب فقد تربعت في عالم الشهرة بين قومها، وقادها هذا إلىٰ معرفة بعض الأسرار في علم الطب والرّقية.

ولما أسفر الإسلام بنوره، رخّص رسول الله ﷺ في الرّقية من الحمة والعين والنملة(1) .

وكانت الشفاء ترقي في الجاهلية، فلما أسلمت أضحت تهتدي بنور الإسلام، وأتت رسول الله ﷺ تستأذنه في متابعة عملها، فقد أورد ابن القيم –رحمه الله– إن الشفاء بنت عبد الله كانت ترقي من الجاهلية من النملة، فلما هاجرت إلىٰ النبي – وكانت قد بايعته بمكة– قالت: يارسول الله، إني كنت أرقي في الجاهلية من النملة،

---

(1) النملة: وصفها الأطباء بأنها مرض جلدي من نوع الأكزيما، وقال ابن قتيبة رحمه الله: قروح تخرج في الجنب. وفي اللغة: النملة: داء معروف، وسمي نملة لأن صاحبه يحس في مكانه كأنه نملة تدب عليه وتعضه)، فالنَّمْلة شيء في الجسد كالقَرْح وجمعها نَمْل وقيل النَّمْل والنَّمْلة قُروح في الجنب وغيره. انظر: لسان العرب لابن منظور 11/ 678، مادة: (نمل).

وإني أريد أن أعرضها عليك، فعرضت عليه فقالت: بسم الله ضلت حتىٰ تعود من أفواهها ولا تضر أحدًا، اللهم اكشف البأس رب الناس(1).

للشفاء مكانة سامية في عالم الصحابيات؛ حيث كان لها مكانة خاصة عند رسول الله؛ وذلك لمؤهلات إيمانية كانت تتمتع بها.

أسلمت الشفاء قبل الهجرة، فهي من المهاجرات الأول، وبايعت النبي، وكانت من عقلاء النساء وفضلائهن.

كما كانت للشفاء منزلة عظمىٰ عند أمهات المؤمنين -رضي الله عنهن- فكانت تدخل علىٰ أم المؤمنين حفصة، وتزورها في الأحايين والأوقات، وتعلمها الكتابة، وقد أمرها النبي أن تعلّم حفصة زوجه رقية النملة والكتابة.

وكان رسول الله يكرم الشفاء ويصلها، فقد أقطعها عليه الصلاة والسّلام دارًا بالمدينة، فنزلتها مع ابنها سليمان بن أبي حثيمة.

مواقفها مع عمر الفاروق:

للشفاء مكانة كريمة عند الفاروق، الذي كان يقتفي بذلك أثر الرسول، فكان يقدمها في الرأي، ويرضاها ويفضلها، وربما ولّاها شيئًا من أمر السوق.

1- أرسل عمر بن الخطاب إلىٰ الشفاء بنت عبد الله العدوية: أن أغدي علي، قالت: فغدوت عليه، فوجدت عاتكة بنت أسيد بن العاص رضي الله عنها ببابه، فدخلنا فحدثنا ساعة، فدعا بنمط -ثوب- فأعطاها إياه، ودعا بنمط دونه فأعطانيه، قالت: فقلت: ياعمر! أنا قبلها إسلامًا، وأنا بنت عمك دونها، وأرسلت إلي وأتتك من قبل نفسها، قال عمر: ما كنت رفعت ذلك إلا لك، فلما اجتمعتما تذكرت أنها أقرب إلىٰ رسول الله.

2- رأت فتيانًا يقصدون في المشي، ويتكلمون رويدًا فقالت: ماهذا؟ قالوا: نسّاك، فقالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشي أسرع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله النّاسك حقًا.

3- كان عمر عليه سحائب الرضوان يزور الشفاء، ويتفقد أحوالها، ويسأل عن زوجها وابنها سليمان، ويرشدهم جميعًا إلىٰ ما فيه الخير إن اقتضت الحاجة

(1) انظر: زاد المعاد لابن القيم 4/ 169.

بذلك، تحدث الشفاء نفسها عن هذا فقالت: دخل عليّ بيتي عمر بن الخطاب، فوجد عندي رجلين نائمين.

فقال: وما شأن هذين، ما شهدا معنا الصلاة؟

قلت: يا أمير المؤمنين صليا مع الناس، وكان ذلك في رمضان، فلم يزالا يصليان حتىٰ أصبحا وصليا الصبح وناما.

فقال عمر: لئن أصلي الصبح في جماعة أحب إلي من أن أصلي ليلة حتىٰ أصبح.

وهذا يدل علىٰ فقه سيدنا عمر ﷺ، وعلىٰ توجيهه اللطيف الذي يعتمد علىٰ أصول السنة النبوية الشريفة، والحض علىٰ حضور صلاة الجماعة.

الشفاء والحديث النبوي:

من الحسنات التي تضاف إلىٰ سجل الصحابية الجليلة الشفاء أنها روت عن النبي ﷺ، وعن عمر بن الخطاب.

وظلت الشفاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تتابع حياة العلم والعمل، والزهد والعبادة إلىٰ إن لقيت ربها في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحو سنه 20 هجرية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

رضي الله عن الشفاء التي شفتنا بسيرتها الطيبة، ونحن في وداع سيرتها العطرة نقول: اللهم اكشف البأس رب الناس، والحمد لله أولًا وآخرًا.

ملامح الشخصية:

1- امرأة عاقلة هادئة، لا يدعوها الغضب إلىٰ التعدي أو عدم الإنصاف.

2- شغوفة بالعلم والمعرفة، وتوَّج الإسلام هذه الموهبة، وساعد القائد العظيم النبي ﷺ علىٰ نموها واستخدامها لخدمة المجتمع.

3- مع كونها تحب العلم هي أيضًا اجتماعية ودودة، تحب الناس، وتشعر بأحاسيسهم؛ لذا تفوقت في مجال الطب النفسي **(الرقية)**.

4- شخصية قيادية حازمة؛ لذا ولَّاها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شيئًا من إدارة السوق، وهو أمر يحتاج إلىٰ قوة وحزم.

5- شخصية ذات صبر وتؤدة، ولها القدرة علىٰ تعليم الغير.

6- شخصية حساسة مؤثرة موصولة بالله تعالىٰ.

خواطر وعبر:

1- نبوغ المرأة في عهد الإسلام وشغلها المناصب القيادية يبطل ادّعاءات البعض بأن

الدين هو سبب تخلف المرأة بيد أن إهمال الدين هو السبب في كل تخلف وكل رجعية.

2- اهتمام الإسلام بالعلم والطب.

فقد قال النبي ﷺ: (**ماسئل الله شيئًا أحب إليه من العافية**)[1]، وقد اشتهر عدد من الأطباء والطبيبات ممن عاصروا الإسلام، منهم الشفاء بنت عبد الله، وقد برعت في مجال الطب النفسي واشتهرت بالاسترقاء[2].

3- اهتمام النبي ﷺ بمحو الأمية ولا فرق في ذلك بين رجل وامرأة.

* * *

(1) رواه الترمذي في سننه 5/ 552 رقم (3548)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب 2/ 192.

(2) هو نوع من المعالجة بالإيحاء والإيمان، يتفاءل الناس به، وقد أجازه الإسلام **ضمن شروط منها**:

1- أن يكون من كلام الله عز وجل.

2- أن يكون من الدعاء إلىٰ الله عز وجل.

درة بنت أبى لهب رضي الله عنها

(درة تلمع وسط الظلام)

درة بنت أبي لهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

(درة تلمع وسط الظلام)

من هي؟

هي درة بنت أبي لهب بن عبد المطلب ابنة عم رسول الله ﷺ.

نشأت هذه الصحابية الجليلة في ظروف عجيبة تجعل العقل مبهورًا مندهشًا من هذه الشخصية التي تبدو كالجوهرة في كومة مزبلة.

دعونا نتعرف علىٰ أسرة -درة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

من أخبار أبي لهب:

هو أحد أعمام رسول الله ﷺ كان كثير الإيذاء له والبغض والتنقص من دينه. كان لا يكف عن الأذىٰ في أي مكان أو أي مناسبة.

* روىٰ الإمام أحمد عن أبي الزناد قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد قال: رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: «**يأيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**» والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب[1].

ولما أجمع بنو هاشم بقيادة أبي طالب علىٰ حماية النبي ﷺ تلبية لدافع العصبية القبلية خرج أبو لهب علىٰ إخوته، وحالف عليهم قريشًا.

وكان قد خطب بنتي رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم لولديه عتبة وعتيبة قبل البعثة، فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما حتىٰ يثقل كاهل محمد بهما.

نهايته:

أوردت المصادر أنه مات عقب غزوة بدر بعد أن سمع الأخبار بانتصار المسلمين، فقد أصابه الله بالعدسة (**بثرة تخرج من البدن فتقتل**) فمات بها، وأقام ثلاثة

(1) رواه أحمد في مسنده 3/ 492، من حديث ربيعة بن عباد الديلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أيام لم يُدفن حتىٰ أنتن، ثم إن ولده غسّلوه بالماء قذفًا من بعيد مخافة العدوىٰ – ثم احتملوه إلىٰ أعلىٰ مكة فأسندوه إلىٰ جدار ثم رضخوا عليه الحجارة.

هكذا أخذه الله أخذ عزيز مقتدر في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقىٰ.

أم جميل:

هىٰ أروىٰ بنت حرب بن أمية أخت أبىٰ سفيان وزوج أبىٰ لهب.

لقد كانت عونًا لزوجها علىٰ كفره وجحوده وعناده.

كانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ فسماها الله حمالة الحطب، وكان بيت أبي لهب قريبًا من بيت رسول الله ﷺ فكان الأذىٰ أشد... وهكذا مضىٰ أبو لهب وزوجته يثيرانها حربًا شعواء علىٰ النبي ﷺ.

وقد شقي أب لهب وزوجته لتصديهما للنبىٰ ﷺ وصدهما عن الإسلام، عندما نزلت فيهما سورة تتلىٰ إلىٰ يوم القيامة «**سورة المسد**». وأن أم جميل لما سمعت ما نزل فيها وفىٰ زوجها من القرآن أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصدّيق وفىٰ يدها فهر من الحجارة (**أي مقدار ملء الكف**)، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلا ترىٰ إلا أبا بكرفقالت: يا أبا بكر أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه.

وأما عن أخويها فقد تابعا أبوهما وأمهما في تصديهما للنبىٰ ﷺ فطلق عتبة رقية، وطلق عتيبة أم كلثوم، وزاد علىٰ أن ذهب إلىٰ رسول الله ﷺ وأسمعه ما يكره، فدعا علية النبي ﷺ فأكله سبع في البرية فخسر الدنيا والآخرة.

درة تلمع وسط الظلام:

فىٰ هذا الجو الداكن الرهيب نشأت درة بنت أبي لهب، وكانت ترىٰ تلك الأحداث الأليمة، غير أن عقلها كان يرفض ما يقوم به والداها.

وعلىٰ الرغم من كل الضغوط التي كانت حولها وجد الإسلام إلىٰ قلبها سبيلا ً ، فأسلمت بمكة، وأخرجها الله من ظلمات الشرك إلىٰ نور الإيمان.

وقد هاجرت درة إلىٰ المدينة المنورة فنالت أجر المهاجرات، وسجلت بذلك أعظم المواقف في تاريخ المرأة بتحديها كل الظروف.

وحتى الزوج!

كانت درة متزوجة من الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فولدت له

عقبة والوليد وأبا مسلم، وقتل زوجها يوم بدر وهو مشرك فخلف عليها دحية الكلبي – رضي الله عنه.

أغضب الله من أغضبك:

قدمت درة بنت أبي لهب مهاجرة، فنزلت دار رافع بن المعلى الأنصارى الزرقي، فقال لها نسوة من بني زريق: أنت ابنة أبي لهب، الذي قال الله عز وجل فيه: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المَسَد:1،2]، مايغني عنك مهاجرك؟؟!!!

فأتت درة النبي ﷺ فشكت إليه ما قلن لها – وكانت متأثرة جدًا – فسكنها رسول الله ﷺ وقال: (**اجلسي**)، ثم صلى بالناس الظهر، وجلس على المنبر ساعة ثم قال: (**أيها الناس، مالي أوذى في أهلي؟ فوالله إن شفاعتي تنال قرابتي، حتى أن صداء وحكم وحاء وسلهب ضلتنالها يوم القيامة**)[1].

وفي رواية أخرى تشير إلى مكانة درة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: (**أغضب الله من أغضبك**).

أنت مني:

لم تكن درة رضي الله عنها بعيدة عن البيت النبوي الطاهر، فقد كانت تزور عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وتقتبس من علمها وفقهها، وكانت تسابق عائشة في خدمة الرسول ﷺ، وفي إحدى زياراتها لأمّنا عائشة حظيت بمكرمة نبويه خاصة، روت درة رضي الله عنها خبر هذه المكرمة فقالت: كنت عند عائشة رضي الله عنها فدخل النبي ﷺ فقال:(**إيتوني بوَضوء**) فابتدرت أنا وعائشة الكوز فبدرْتها –سبقتها– فأخذته أنا فتوضأ، فرفع إلى عينه أو بصره فقال: (**أنت مني وأنا منك**).

وفاتها:

ظلت درة رضي الله عنها تحتفظ بمكانتها، وتوفي النبي ﷺ وهو راض عنها، وامتدت بها الحياة (**20 سنة**)، حيث توفيت في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب – رضوان الله عليه– بعد أن أثرت تاريخ المرأة بالمواقف العطرة.

---

(1) أخرجه المتقى الهندي في كنز العمال (37630)، وأخرجه أيضًا: ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (5/ 470، رقم 3165)، والطبرانى (24/ 259، رقم 660)..

خواطر وعبر:

1 -بعد سماع قصة درة لم يعد لأي إنسان حجة في عدم اتباع الحق مهما كانت ظروفه.

2 - إنها رسالة أيضًا إلىٰ المرأة التي تتحجج أنها ضعيفة في مواجهة الحق، وأنها مغلوبة علىٰ أمرها نقول لها: كوني درة وسط الركام.

3 - كل امرئ بما كسب رهين، فلا نأخذ أحدًا بجريرة غيره.

4 -الصبر علىٰ انتفاش الباطل وكثرته أمر مطلوب مع دعاء الله بالتثبيت.

5 - الأجر علىٰ قدر المشقة، وكلما عانىٰ الإنسان في سبيل اتباع الحق كلما عرف قيمته وغلا ثمنه في نفسه وضحىٰ بكل ما يملك في سبيل إعلاء كلمته.

* * *

هند بنت عتبة

رضي الله عنها

(القيادية في الجاهلية والإسلام)

هند بنت عتبة رضي الله عنها

(القيادة في الجاهلية والإسلام)

وجاء الحق:

عشرون عامًا لم يخشع قلبها لذكرالله وما نزل من الحق .

عشرون عامًا قضتها هذه المرأة في عداوة مفرطة لرسول الله ﷺ وللإسلام والمسلمين لم تتوقف مرة خلالها عن إظهار العداوة كانت تجود بحليها وذهبها في سبيل الصد عن سبيل الله، حتىٰ إن رسول الله ﷺ إهدر دمها.

هذه المرأة نفسها فازت مع الفائزين وكان شركها نسيًا منسيًا.

هذه المرأة هي هند بنت عتبة بن ربيعة القرشية، إحدىٰ نساء العرب التي كان لهن شهرة عالية قبل الإسلام وبعده وهي أم الخليفة الأموىٰ معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

كانت هند زوجة للفاكه بن المغيرة أحد فتيان قريش، فعانت من سوء رأيه ما حملها علىٰ فراقه، ثم خلف عليها أبو سفيان بن حرب فولدت له معاوية وعتبة.

هند قبل الإسلام:

مقتل الأحبة:

في غزوة بدر كان في جيش المشركين من أقرباء هند: أبوها وأخوها وعمها وأما في جيش المسلمين فكان أخوها أبو حذيفة بن عتبة فأخذت هند تذمه وتشتمه.

وفي بدء المعركة قتل عتبة وأخيه وابنه، ثم أسفرت المعركة عن مقتل سبعين وأسر سبعين، فكان ذلك حسرة للمشركين.

قالت نساء قريش لهند: ألا تبكين علىٰ أبيك وأخيك وعمك وأهل بيتك؟

فقالت: أنا أبكيهم، فيبلغ محمد وأصحابه فيشمتوا بنا..لا والله لسوف أثأر منهم.

ومكثت هند لا تقرب الدهن، ولا تقرب فراش أبي سفيان وتحرض الناس حتىٰ كانت وقعة أحد، وكان خلالها ترثي قتلاها في بدر.

وكان الثأر في أحد:

قرر المشركون أخذ الثأر، وأصرت النسوة علىٰ أن يسرن مع الرجال في حين

عارض بعض فرسان قريش ورجالهم ذلك، ومنهم صفوان بن أمية، فصاحت هند بنت عتبة بمن يعترض خروج النساء.

وخرجت قريش مع نساءها، وعلىٰ رأسهن هند وهي أشدهن علىٰ الثأر حرقة وكانت هند قد وعدت وحشيًا الحبشي العتق وذهبها وحليها إن هو قتل حمزة.

وفي المعركة جعلت النساء يمشين خلال صفوف الرجال يضربن الدفوف وعلىٰ رأسهن هند، ودارت الدائرة علىٰ المشركين في بادئ الأمر وتمزقت قريش، وأوشك نسوتها أن يؤخذن أسرىٰ ذليلات.

هند وأبو دجانة:

وصف أبو دجانة ما كان في المعركة قائلاً : رأيت إنسانًا يخمش الناس خمشًا شديدًا، فلما حملت عليه السيف ولىٰ، فإذا امرأة فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة.

وكانت تلك المرأة هي هند بنت عتبة

مقتل حمزة:

شغل بعض المسلمين بجمع الغنائم وخالف الرماة أمر رسول الله ﷺ فتبدل وجه المعركة، وانتهز المشركون هذه الفرصة، وانقضوا علىٰ المسلمين وكثر القتل، وقتل حمزة غدرًا بيد وحشي، فقد كان يتربص به ولم يكن له هدف في هذه المعركة سواه.

كانت هند من أشد الناس سرورًا فلم يكفها قتل حمزة؛ بل وانطلقت هي والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلىٰ من المسلمين أبشع تمثيل وأشنع فعلة مما جعل زوجها أبو سفيان يبرأ من تبعتها.

ثم علت هند علىٰ صخرة في المعركة فصرخت بأعلىٰ صوتها لتبدي الشماتة في المسلمين.

قصة إسلامها:

ها هو الحبيب ﷺ يدخل مكة فاتحًا منتصرًا...فلما مر بأبي سفيان قال له العباس: النجاء إلىٰ قومك فأسرع أبو سفيان حتىٰ دخل مكة وصرخ بأعلىٰ صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

فقامت إليه زوجته هند فأخذت بشاربه فقالت: اقتلوا الحميت الدسم الأخمش الساقين، قبح من طليعة قوم، فكانت تعارض المسلمين إلىٰ آخر وقت حتىٰ شرح الله

صدرها للإسلام بعد عداوة دامت عشرين عامًا، وإذا بها تقول لزوجها أبي سفيان: إنما أريد أن أتبع محمدًا.

وعن عائشة قالت: جاءت هند إلىٰ النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! والله ما كان علىٰ ظهر الأرض أهل خباء (**يعبر به عن مسكن الرجل وداره**) أحب إلىٰ من أن يذلهم الله من أهل خبائك. وماعلىٰ ظهر الأرض أهل خباء أحب إلىٰ من أن يعزهم الله من أهل خبائك. فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده!

(ومعنىٰ قول النبي ﷺ أنها ستزيد إيمانًا، ويزيد حبها لله ورسوله ويقوىٰ رجوعها إلىٰ بغضه).

البيعة:

روي أن النبي ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو علىٰ الصفا، وعمر قاعد أسفل منه يبايعهن بأمره، ويبلغهن عنه فجاءت هند متنكرة خوفًا من رسول الله ﷺ أن يعرفها لما صنعت بحمزة، فقال رسول الله ﷺ (**أبايعكن علىٰ ألا تشركن بالله شيئًا**).....(**ولا تسرقن**)، فقالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح، فإن إنا أصبت من ماله هنات؟ فقال أبو سفيان: وما أصبت فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال: وإنك لهند؟ قالت: نعم، فاعفُ عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك.

فقال: ولا يزنين، فقالت: أوَتزني الحرة!؟ فقال: ولا يقتلن أولادهن، فقالت: ربيناهم صغارًا وقتلتوهم كبارًا، فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل في بدر، فضحك عمر حتىٰ استلقىٰ؛ فتبسم رسول الله ﷺ.

فقال: ولا يأتين ببهتان، فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقال: ولا يعصينك في معروف، فقالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك.

هند ومعاوية رضي الله عنهما :

فطمت هند ابنها معاوية علىٰ حب الفضائل وعلىٰ الشهامة والحزم والأنفة، وقد وصفته وهي تهدهده وهو صغير **فقالت:**

إن ابنـي معـرق كريـم * محبـب في أهلـه حليـم**
ليس بفحاش ولا لئيـم * ولا بطخـرور ولا لئيـم**
صخر بني فهر به زعيم * لا يخلف الظن ولا يخيـم**

ومعاوية هذا نظر إليه رجل وهو صغير فقال: إنىٰ أظن هذا الغلام سيسود قومه، فقالت: ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه.

ووصف معاوية أمه فقال: أما هند فكانت امرأة في الجاهلية عظيمة الخطر وفىٰ الإسلام عظيمة الخبر.

ومعاوية هو أريب العرب وألمعيها، وكثيرًا ما كان يقول في سجال الفخر: أنا ابن هند.

موقفها في معركة اليرموك:

كانت معركة شديدة كان النساء يحرضن علىٰ القتال، وخرجت هند وبيدها مزهر ومن خلفها نساء من المهاجرين وهي تقول الشعر الذي قالته يوم أحد.

ثم استقبلت خيل ميمنة المسلمين، فرأتهم منهزمين فصاحت بهم: إلىٰ أين تنهزمون؟ وإلىٰ أين تفرون؟ من الله ومن جنته؟ هو مطلع عليكم، ونظرت إلىٰ زوجها أبي سفيان منهزمًا، فضربت وجه حصانه بعمودها، وقالت له: إلىٰ أين يا أبا صخر؟ ارجع إلىٰ القتال، ابذل مهجتك حتىٰ تمحص ما سلف من تحريضك علىٰ رسول الله ﷺ قال: فعطف أبو سفيان عندما سمع كلام هند، وعطف المسلمون معه، ونظرت إلىٰ النساء وهن يسابقن الرجال ويقاتلن قتالًا عنيفًا، وحمل المسلمون حملة منكرة لا يريدون غير رضا الله ورسوله، فانكسر الروم.

ملامح شخصية هند:

1- **العقل والرأي**

وقد وصفها ابن الأثير: كانت امرأة لها نفس وأنفة ورأي وعقل.

وهذا العقل هو الذي هداها الله به إلىٰ الإسلام.

2- **القيادية**

ويبدو هذا واضحًا في مواقفها في الحروب قبل الإسلام وبعده وقدرتها علىٰ التأثير.

3- **الثورة**

وهذه الثورة العارمة التي تبدو واضحة في مواقفها تنم عن طاقة هائلة تحملها بين جنباتها كما تنم عن سرعة وشدة الأثر والتفاعل مع مجريات الأحداث حولها وما

وجهت هذه الطاقة التوجيه السليم إلا بعد إسلامها.

بعض نساء العصر يستعملن طاقاتهن في سفاسف الأمور، وتنأىٰ كل منهن بقدراتها ومواهبها عن المشاركة الفعالة في المجتمع، وهذا هو سبب تخلف المرأة في العصر الحديث.

4- **حسن البيان وفصاحة اللسان**

فقد كانت تقول الشعر الجيد وأكثر ما عرف عن شعرها فى رثاء أبيها وعمها وأخيها.

5- **قوة العزيمة**

فعندما تنوي أمرًا تصر علىٰ تنفيذه ولو طال الزمن، وقد فعلت هذا في الجاهلية عند الثأر لأهلها، ثم ظهر واضحًا في معركة اليرموك.

6- **بعد النظر في تحديد الهدف**

فهىٰ تضع دائمًا أهدافًا طموحة وفي تربيتها لابنها الأسوة الحسنة.

فقاد معاوية الأمة خير قيادة، وكان عهده عهد نهضة وحضارة.

7- **المروءة.**

وكان ذلك في الجاهلية والإسلام علىٰ السواء، وكان لها هذا الموقف في الجاهلية مع بنت رسول الله ﷺ رغم ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ من عداوة – لما علمت بعزم زينب بنت رسول الله ﷺ علىٰ الهجرة إلىٰ المدينة ذهبت إليها في هدأة من الليل، وعرضت عليها مساعدتها كابنة عم تحفظ عهد القرابة، وأظهرت لها كل مروءة وقالت: يابنة محمد بلغني عزمك علىٰ الرحيل، فحاولت زينب أن تخفىٰ خبر هجرتها عن هند.

فقالت لها هند: لا تكذبيني، فإن ما بين الرجال لا يتعداهم إلىٰ النساء (**أي ما بين الرجال من العداوة القائمة لا شأن لنا بها نحن النساء**)، فإن أحوجك معونة من مال أو عمل فإن أولىٰ باسعادك ابنة عمك –تريد نفسها.

ولما علمت هند أن قريشًا عرضوا لزينب في هجرتها.. خرجت إليهم تؤنبهم علىٰ عملهم الشائن وتهجوهم.

وكم تحتاج نساء العصر للإفادة من مثل هذه المواقف.

خواطر وعبر:

1- العبرة بالخواتيم

فلا يتسرع أحدنا في الحكم علىٰ الناس بوصفهم من أهل النار إذا رأيناهم يحيدون عن جادة الصواب.

2- صبر الداعية علىٰ الناس إلىٰ أبعد الحدود إلىٰ أن يأخذ بأيديهم إلىٰ بر الأمان، ولولا صبر النبي علىٰ هند ما كانت لتهتدىٰ إلىٰ الحق.

3- باب التوبة مفتوح لكل ذىٰ عقل ورشد ، فليسارع قبل فوات الأوان.

4- الغل صفة جبل عليها الإنسان وجزء من فطرته وتعاليم الإسلام تقوم بتهذيبها والإيمان له دور كبير في سكينة النفس من خطر هذا الغل.

ومن الضوابط التي يرسمها الإسلام في ذلك:

أ- ألا يتوجه هذا الغل للمؤمنين.

فلا غل مع الأهل والمجتمع؛ إنما يوجه فقط إلىٰ أعداء الله وإلىٰ كل ظالم ليرده عن ظلمه.

(...ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا..)

ب- ضبط النفس في تنفيس الغضب.

(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به. ولئن صبرتم لهو خير للصابرين).

وقد رأينا كيف وجهت هند انفعالاتها بعد الإسلام.

5- إذكاء روح المروءة عند نساء العصر أمر لا بد منه.

6- مشاركة المرأة في حمل هموم بلدها أمر ضروري ومطلوب الآن أكثر من ذىٰ قبل.

7- رسم الهدف للأبناء أثناء تربيتهم عامل رئيسي في نجاح التربية قد أدركته هند قبل 1400 عامًا.

* * *

صفية

بنت حيي

رضي الله عنها

صفية بنت حيي رضي الله عنها

من هي؟

هي صفية بنت حيي بن أخطب بن شعبة..... بن النضير بن النحام بن تحوم، من بني إسرائيل وسبط (**هارون بن عمران**).

أمها (**برة بنت سموأل**).

قال ابن زبالة في «**المنتخب**»: إن اسم صفية رضي الله عنها هو: حبيبة، ولكنها سميت صفية؛ لأنها كانت صفية رسول الله ﷺ يوم خيبر، وكانت كنيتها (**أم يحيىٰ**).

نشأتها:

تروي لنا صفية رضي الله عنها: أنها ما رأت في طفولتها من حقد أبيها وقومها علىٰ الإسلام وعلىٰ النبي ﷺ عندما قدم إلىٰ المدينة.

قال ابن اسحاق: وحدثني عبد الله بن أبىٰ بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: حدثت عن صفية بنت حيي بن أحطب أنها قالت: «**كنت أحب ولد أبي إليه وإلىٰ عمىٰ أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه**».

قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف إذا عليه أبي (**حيي بن أخطب**) وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين[1]، قالت: فلم يرجعا حتىٰ كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينىٰ[2] قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغم، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟؟ قال: نعم والله.. قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت.

---

(1) أي في ظلمة الليل.

(2) مشية فيها فتور وضعف.

رحيل من المدينة:

ووادع رسول الله ﷺ من بالمدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتابًا، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قيقاع؟، وبنو النضير، وبنو قريظة.

كانت صفية وأبوها حيي بن أخطب من بنىٰ النضير، وكان أبوها من زعماء القبيلة وكبرائها.

وقد نقض اليهود عهدهم مع النبي ﷺ، وحاول بنو النضير قتل النبي ﷺ وهو مستند إلىٰ جدار حائط من بيوتهم؛ فلما ذهب أحدهم عازمًا علىٰ أن يلقي علىٰ رسول الله ﷺ صخرة من فوق الجدار؛ أخبره جبريل بذلك، وقام من توِّه ثم بعث إلىٰ بني النضير يأمرهم بالخروج من المدينة، ولكنهم تمنعوا، وبعث رئيسهم حيي بن أخطب لرسول الله ﷺ يقول: (**إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك**).

فأدىٰ ذلك إلىٰ أن فرض المسلمون عليهم الحصار حتىٰ أجلوهم عن المدينة.

* وكان من أشرافهم الذين ساروا إلىٰ خيبر: (**سلام بن أبي الحقيق، وحيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، فلما نزلوها دان لهم أهلها**).

في خيبر:

فكانت صفية من يهود خيبر، وكان أبوها سيدهم المطاع، فعاشت معهم في رغد ونعيم. ولما اشتد عودها كان أشراف القوم يطمعون في الزواج منها، فتزوجها سلام ابن أبي حقيق، ثم خلف عليها كنانة بن أبي حقيق، (**وكانا من شعراء اليهود**).

مقتل حيي بن أخطب:

نقضت بنو قريظة عهدها مع رسول الله ﷺ، وناصرهم حيي بن أخطب، وكان ممن يؤلب القبائل العربية واليهودية علىٰ محاربة الإسلام ونبيه ﷺ، وهو الذي أقنع بني قريظة بضرورة نقض العهد، وهزمت بنو قريظة، وحكم علىٰ رجالهم بالقتل لخيانتهم.

فلما أقبلت بنو قريظة أتي به - أىٰ حيي بن أخطب - مكتوفًا بعد، فقال حيي للنبي ﷺ: أما والله ما لمت نفسي علىٰ عداوتك، ولكنه من يخذل الله يخذله، فأمر به النبي ﷺ وضربت عنقه... ثم إنه أقبل علىٰ الناس قبل تنفيذ حكم الإعدام، وقال لهم: أيها الناس.. إنه لا بأس بأمر الله.. كتاب وقدر، وملحمة كتبها الله علىٰ بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه.

وفي السيرة النبوية أيضًا: لقد تجلد حيي، وتقدم لتضرب عنقه حتىٰ لا يشمت فيه شامت، وهو يعرف أنه علىٰ باطل، ظالم لنفسه... ومع هذا يموت علىٰ ذلك، والعزة بالإثم تأخذه إلىٰ جهنم وبئس المصير.

كما أن عداوة حيي للرسول ﷺ باعثها الحسد والحقد.

* لقد اعترف أبو صفية بأن الله قد خذله بمقولته هذه قبل موته، واعترف أيضًا أنه لم يكن مع الله، وإنما كان مع الشيطان.

زواج صفية من رسول الله ﷺ:

توجه النبي ﷺ إلىٰ خيبر في العام السابع الهجرىٰ، وكانت لهم حصون منيعة لا يقدر علىٰ اقتحامها جيش إلا بجهد جهيد وسلاح عتيد.

وتم نصر المسلمين علىٰ خير وجه، وأحرزوا الكثير والكثير من أموال اليهود، وسبَوا الكثير والكثير من النساء والزراري.

* وكانت صفية بنت حيي من السبايا، جاء بها بلال بن رباح من حصن أبي الحقيق ومعها بنت عم لها، فمر بهما علىٰ القتلىٰ وقد تناثرت أشلاؤهم هنا وهناك، فلما رأتهم المرأة التي مع صفية صاحت صياحًا شديدًا، ولطمت وجهها، وحثَ التراب علىٰ رأسها، وفعلت بنفسها الأفاعيل، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: «**أغربوا عني هذه الشيطانة**» فأبعدوها عن ساحته.

وأما صفية فقد كانت تتميز برباطة الجأش، فلم تفعل مثلما فعلت صاحبتها، بل تماسكت وكظمت غيظها... فعرف الرسول قدرها فرضيها لنفسه.

وقد عاتب النبي بلالًا علىٰ ما فعله بهاتين المرأتين فقال: «**يا بلال، أنزعت منك الرحمة حين تمر بامرأتين علىٰ قتلىٰ رجالهما!!**»(1).

وقد حاز النبي صفية لنفسه تكريمًا لها؛ فهي سيدة قومها وبنت سيدهم، فإكرامها نخوة عربية... وقد أبصر فيها سماحة تدعوها إلىٰ الإسلام، ورأىٰ في وجهها وجاهة تدل علىٰ سلامة قلبها وحسن استقبالها لهذا الدين القيم(2).

---

(1) تاريخ الطبرىٰ 2/ 302.
(2) مؤمنات لهن عند الله شأن، دكتورمحمد بكر إسماعيل.

ويذكر الصلابي في السيرة النبوية: إنما أراد إعزازها وتكريمها وصيانتها من أن تفترش لرجل لا يعرف لها شرفها ولا نسبها في قومها... وهذا إلىٰ ما فيه العزاء لها.

كما أن فيه رباط المصاهرة بين النبي واليهود؛ عسىٰ أن يكون في هذا ما يخفف من عدائهم للإسلام والانضواء تحت لوائه والحد من كرههم وسعيهم بالفساد.

* وعن أنس أن النبي ﷺ أعتق صفية، وجعل عتقها صداقها[1].

وعن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله ﷺ في الذي يعتق جاريته ثم يتزوجها له أجران[2].

* فلما انقضت عدة صفية من زوجها كنانة بن الربيع حملها النبي ﷺ وراءه إلىٰ منزل علىٰ ستة أميال من خيبر، وأراد أن يعرس بها، فأبت، فوجد النبي ﷺ في نفسه، فلما سار ووصل الصهباء مال إلىٰ دومة هناك فطاوعته، فقال لها: ما حملك علىٰ إبائك حين أردت المنزل الأول؟ قالت: يا رسول الله خشيت عليك قرب يهود.

* وكان أبو أيوب الأنصارىٰ يحب رسول الله ﷺ حبًّا جمًّا، ويحرص علىٰ راحته ويحميه من كل ما يؤذيه ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلاً ؛ فلما رآه قد دخل علىٰ صفية رابه شيء منها، فبات يحرسه حتىٰ أصبح، وكان يطوف بالخيمة التي هو فيها مع صفية، فلما خرج النبي ﷺ مبكرًا، كبَّر أبو أيوب حين أبصره، فسأله النبي ﷺ: **(مالك يا أبا أيوب؟!)**

قال: لم أرقد ليلتي هذه يا رسول الله، قال: ولم يا أبا أيوب؟؟ قال: لما دخلت بهذه المرأة ذكرت أنك قتلت أباها وأخاها وزوجها وعامة عشيرتها، فخفت أن تغتالك يا رسول الله.

فتبسم رسول الله ﷺ وأثنىٰ عليه.

وقد كان النبىٰ ﷺ يعلم بنور الله أن صفية قد حسُن إسلامها، وأنها أحبته حب الزوجة للزوج، وحفظت له حسن صنيعه بها.

عطف النبي ﷺ ورحمته بصفية:

عن ابن عمر ﷺ قال: كان بعيني صفية خضرة، فقال لها النبي: ما هذه الخضرة

---

(1) أخرجه مسلم.

(2) أخرجه مسلم.

بعينيك؟ قالت: قلت لزوجي: إني رأيت فيما يرىٰ النائم كأنَّ قمرًا وقع في حجري فلطمني، وقال: أتريدين ملك يثرب.

قالت: وما كان أبغض إليّ من رسول الله ﷺ؛ قتل أبي وزوجي، فمازال يعتذر إليّ وقال: «**يا صفية، إن أباك ألّب عليَّ العرب وفعل وفعل**» حتىٰ ذهب ذلك من نفسي(1).

* كان زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق صاحب حصن القموص، أعظم حصن في خيبر، وقد اقتحم المسلمون الحصن بعد نضال عسير، وجيء بكنانة حيًّا، وكان عنده كنز بني النضير، فسأله النبي ﷺ عنه فجحد أن يكون يعرف مكانه، فقال ﷺ: أرأيت إن وجدناه عندك أأقتلك؟ قال: نعم.

فلما اكتشف مخبأ الكنز عنده دفعه النبي ﷺ إلىٰ محمد بن سلمه فضرب عنقه.

* بذلك يكون قد اقتصَّ الله تعالىٰ منه ما فعله بصفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

صفية في بيت النبوة:

عادت صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مع النبي ﷺ إلىٰ المدينة بعد أن بنىٰ بها في الطريق، وكانت في قمة السعادة؛ لأنها ستكون واحدة من أمهات المؤمنين.

* عن آمنة بنت قيس العقارية قالت: أنا إحدىٰ النساء اللاتي زففْن صفية يوم دخلت علىٰ رسول الله ﷺ، فسمعتها تقول: ما بلغت سبعة عشر سنة يوم دخلت علىٰ رسول الله ﷺ(2).

الكريمة صاحبة القلب الرقيق:

ولما انتقلت صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلىٰ دور النبي ﷺ كانت تحمل كل الخير لأخواتها (**أمهات المؤمنين**)، فقد بدأت بتقديم الهدايا لهن؛ ولكنها بدأت بريحانة رسول الله ﷺ ابنته فاطمة، فقدمت لها هدية غالية.

* عن ابن المسيب قال: قدمت صفية وفي أذنيها خرصة من ذهب، فوهبت لفاطمة منه ولنساء معها(3).

---

(1) رواه الطبري، وصححه الألباني.

(2) صحابيات حول الرسول، محمود المصرىٰ.

(3) رواه بن سعد، وقال رجاله ثقات.

*ولكن صفية مع ذلك كانت تشعر بغربة شديدة؛ لأن أزواج النبي ﷺ لا يستطعن أن ينسين أصلها، وأنها كانت في يوم من الأيام يهودية، ولكن الله أعزَّها وأكرمها بنعمة الإسلام.

* عن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: ما يبكيك؟ قالت: قالت لى حفصة أني بنت يهودي، فقال النبي ﷺ: إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيمَ تفخر عليك؟ ثم قال: اتقى الله يا حفصة(1).

* وفي رواية أخرى: قال لها رسول الله ﷺ: ألا قلت لهما (**أى عائشة وحفصة**): كيف تكونان خيرًا مني وأبي هارون، وعمى موسى، وزوجى محمد؟؟

* وحدث شيء قريب من ذلك من زينب بنت جحش رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فغضب النبي ﷺ لذلك.

* عن صفية بنت حيي: أن النبي ﷺ حج بنسائه، فبرك بصفية جملها، فبكت، وجاء رسول الله ﷺ لما أخبروه فجعل يمسح دموعها بيده وهي تبكي، وهو ينهاها، فنزل رسول الله ﷺ بالناس، فلما كان عند الرواح قال لزينب بنت جحش: أفقري أختك جملاً - وكانت أكثرهن ظهرًا - فقالت: انا أفقر يهوديتك!

فغضب رسول الله ﷺ، فلم يكلمها حتى رجع إلى المدينة ومحرم وصفر(2).

مكانة صفية عند النبي ﷺ:

ها هو موقف عظيم يوضح مكانة صفية في قلب النبي ﷺ:

* عن صفية بنت حيي قالت: كان النبي ﷺ معتكفا، فأتيته أزوره ليلاً فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معى ليقلبني -وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد- فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ: (**على رسلكما، إنها صفية بنت حيي**)، فقالا: سبحان الله... يا رسول الله ! قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإنى خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا أو قال «**شيئًا**» (3).

---

(1) رواه أحمد والترمذى.

(2) أخرجه أحمد في المسند..

(3) رواه مسلم.

صفية الصافية:

وجد العديد من المواقف التي تدل علىٰ عقل صفية وحلمها وصفاء قلبها من هذه المواقف:

- كانت صفية تجيد صنع الطعام؛ لأنها كانت من قوم يعدون في بيوتهم الموائد الشهية ذات الأصناف المتعددة؛ فصنعت يومًا طعامًا للنبىٰ ﷺ، فما أن مد يده إليه حتىٰ أخذت الغيرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأمسكت الإناء فكسرته بما فيه، فلما رأت عائشة سوء صنيعها وتحلم النبي ﷺ عليها راجعت نفسها، واعتذرت عما بدر عنها للرسول ﷺ ولصفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقالت: يا رسول الله ما كفارة ما صنعت؟ فقال عليه الصلاة والسلام: **(إناء مثل إناء وطعام مثل طعام)**[1].

- عن زيد بن أسلم: أن نبي الله في وجعه الذي توفي فيه قالت صفية بنت حيي: والله يا نبي الله، لوددت أن الذي بك بي، فغمزها أزواجه فأبصرهن فقال: «**مضمضن**»، قلن: من أي شيء؟ قال: من تغامزكن بها، والله إنها لصادقة[2].

ومن هنا كانت أم المؤمنين صفية ذات سريرة صافية وعلانية نقية، فقد أحبَّت رسول الله ﷺ وصدقت في حبها لله عزوجل، فجاءت تصرفاتها نابعة من معين الصدق والوفاء، وشهد لها النبي ﷺ بالصدق.

- وها هو موقف آخر يدل علىٰ صفاء النفس «**قال أبو عمر بن عبد البر: روينا أن جارية لصفية أتت عمر بن الخطاب، فقال: إن صفية تحب السبت، وتصل اليهود فبعث عمر يسألها، فقالت: أما السبت فلم أحبه منذ أن أبدلني الله به الجمعة، وأما اليهود فإن لي فيهم رحمًا، فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملك علىٰ ما صنعت؟ قالت: الشيطان. قالت: فاذهبىٰ فأنتىٰ حرة**» [3].

لقد كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تستطيع أن تنتقم لنفسها، ولكنها تعلمت العفو عند المقدرة من صاحب الخلق العظيم محمد ﷺ.

---

(1) رواه أبو داوود والنسائي.

(2) أخرجه بن سعد ورجاله ثقات ولكنه مرسل.

(3) الاستيعاب.

دورها في السياسة:

وقد أسهمت صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بجهد متواضع جدًا في السياسة، راضية أو كارهة بحكم أنها من أمهات المؤمنين.

* روىٰ ابن سعد في الطبقات عن مولاها كنانة أنه قال: قدمت صفية في حجابها علىٰ بغلة؛ لترد عن عثمان، فلقينا الأشتر(1)، فضرب وجه البغلة وهو لا يعرف راكبتها، فقالت لي: ردني ولا تفضحنيٰ، ثم وضعت معبرًا بين منزلها ومنزل عثمان، فكانت تنقل إليه الطعام والماء وهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في محفة الحصار.

* لقد وصفها ابن الأثير والنووي بقولهما: كانت عاقلة من عقلاء النساء، وأثنىٰ عليها ابن كثير فقال: كانت من سيدات النساء عبادة وورعًا وزهادة وبرًا وصدقة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

عبادتها:

كانت صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تجتهد في طاعة الله عزوجل لتستدرك ما فات من عمرها؛ فقد كانت تتمنىٰ أنه لو كانت أسلمت مع أول لحظة بعث فيها الحبيب ﷺ(2).

*كان حب صفية لرسول الله ﷺ يزيدها تعلقًا بالقرآن وشغفًا بحديثه، فراحت تنهل منهما وتستزيد، فروت عدة أحاديث قيل: إنها بلغت العشرة.

* أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء قال: عن عبد الله بن عبيدة: أن نفرًا اجتمعوا في حجرة صفية بنت حيي زوج النبي، فذكروا الله وتلوا القرآن وسجدوا، فنادتهم صفية: هذا السجود وتلاوة القرآن فأين البكاء؟

*ووصفها أبو نعيم في ترجمته لها فقال: التقية الزاكية ذات العين الباكية (**صفية**) الصافية زوجة النبي ﷺ.

ولم تكتفِ صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بتعلم القرآن وحديث رسول الله ﷺ؛ بل تعدت ذلك إلىٰ تعليمها للناس،س وزرع حبهما في نفوسهم، ودعتهم إلىٰ التدبر والخشوع، وحثتهم علىٰ الحفظ ما استطاعوا، ولئن كان ذلك منها في حياة حبيبها وأسوتها رسول الله ﷺ فإن ذلك قد زاد منها بعده لتملأ فراغها وتشغل وقتها.

---

(1) هو مالك بن الحارث النخعي، كان علىٰ رأس أهل الكوفة الذين تولوا الفتنة أيام عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(2) صحابيات حول الرسول..

ولم تنسَ فضل الصدقة وما تعود به علىٰ صاحبها من الخير، فكانت تحثُّ الناس عليها وتكثر من البذل والإنفاق ما وجدت إلىٰ ذلك سبيلاً .

وفي شهر رمضان من سنة خمسين وافتها المنية، وكانت مقبرة البقيع مستقرها رحمة الله تعالىٰ عليها.

خواطر وعبر:

1) من العجيب أن نجد إحدىٰ أمهات المؤمنين من أصل يهودي، وهذا الأمر لابد أن يكون له مغزاه، ويمكن أن نستنتج بعض المعاني **من ذلك:**

- أن الإسلام جاء للناس أجمعين، ولا يعادي إلا من عاداه.

- أن عداوتنا لليهود تنتج من شرهم وأفعالهم لا من نسبهم؛ فلقد أخذ النبي ﷺ يرسِّخ في أمهات المؤمنين هذه القيمة في العديد من المواقف، فها هو ينهىٰ عائشة عن اتهام صفية بنت حيي بأنها يهودية، وها هو يهجر زوجته زينب بنت جحش من أجل نفس السبب.

فالميزان الوحيد الذي يوزن به البشر في الإسلام هو التقوىٰ (**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**).

- أن اليهود علىٰ قدر عداوتهم وبغضهم للمسلمين إلا أن فيهم فئة قليلة مؤمنة، وقد آمن بعضهم، وأشار القرآن إلىٰ ذلك في سورة آل عمران عندما قال: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران:199].

فإن وجود أمًّا للمؤمنين لنا من أمة اليهود لخير دليل علىٰ ذلك.

2) إن الصفات الشخصية للسيدة صفية رضي الله عنها صفات مبهرة رغم أنها نشأت وسط الأحقاد، إلا أن قلبها يفيض بالصفاء والنقاء، وفي المواقف التي ذكر منها أكبر دليل علىٰ هذا.

3) في الحديث الذي جاء مع صفية وقال النبي فيه للشابين علىٰ رسلكما إنها صفية" دليل علىٰ مكانة صفية رضي الله عنها، وأن النبي ﷺ لا يريد أن يضعها موضع شبهة، وفي

ذلك عبرة لكل زوج في أن يحافظ علىٰ وضع زوجته وصورتها أمام الناس وكذلك فيه معنىٰ آخر:

وهو أن اسم المرأة ليس بعورة في الإسلام كما يظن بعض الناس ذلك فيكنىٰ عن زوجته، وأعتقد أن في هذا احترامًا لذاتية المرأة واحترامها.

4) إن صغر سن صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند الزواج من النبي ﷺ (17 سنة) وكانت قد تزوجت اثنين من قبل.. هذا يدل علىٰ أنها أوتيت عقلاً وحكمة مبكرين.

وإن المواقف التي مرت بصفية وانقلاب حياتها وتحويلها هذا التحول الشديد والسريع قد زاد - في اعتقادي- عمرها أعمارًا، وأثقل شخصيتها وزادها حكمة وتؤدة وحلمًا.

5) موقفها عندما كسرت لها السيدة عائشة الطبق.. موقف عظيم يدل علىٰ شدة الحلم؛ فنحن لم نسمع بمَ ردت عليها صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولو كانت ردت لذكر الحديث ذلك، ولو ردت لكان معها كل الحق.

6) إن صلتها بأهلها بعد إسلامها وبرّها لهم لأكبر دليل علىٰ أنها تحمل قلبًا كبيرًا هفوفًا عطوفًا، ومشاعر تموج كموج البحر في طهارته ومقاومته لكل نجس.

* * *

أم إبراهيم
مارية القبطية

أم إبراهيم... مارية القبطية[1]

مارية القبطية فتاة مصرية، من قرية يقال لها: حفن، في ضاحية يقال لها: أنصنا الواقعة علىٰ الضفة الشرقية للنيل تجاه الأشمونين.

ولدت مارية لأب قبطي يقال له: شمعون، ولأم مسيحية رومية.

عاشت طفولتها في هذه القرية هي وأختها سيرين، ثم انتقلتا إلىٰ قصر المقوقس عظيم القبط بالإسكندرية.

والمقوقس كان واليًا من قِبل ملك الروم، وهم قوم يدينون بالمسيحية، ولديهم علم ببعثة محمد ﷺ؛ فهو مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم من خلال هذين الكتابين؛ فأوصافه كلها مذكورة لا يخفىٰ عليهم منها شيء.

وكان أهل مصر يسمعون من الأحبار والرهبان أن هناك نبيًا بمكة قد حانت بعثته.

وكانت مارية بنت شمعون، وأختها سيرين يسمعان بعض ما يقال عن هذا النبي عليه الصلاة والسلام، ولكنهما لا يلقيان بالًا إلىٰ ما يسمعان عنه؛ لشغلهما بخدمة القصر ومن فيه.

وقد كان النبي ﷺ بعد فتح خيبر يرسل رسله إلىٰ البلاد الواقعة في شبه الجزيرة العربية وغيرها، ومعهم كتب منه يدعوهم فيها إلىٰ الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

وكان ممن أرسل إليهم المقوقس والي مصر؛ فقد بعث إليه حاطب بن أبي بلتعة، فلما دخل عليه أدىٰ إليه كتاب النبي ﷺ، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلىٰ المقوقس عظيم القبط سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ..

أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط..

---

(1) كتاب مؤمنات لهن عند الله شأن محمد بكر اسماعيل.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:64].

فلما قرأه المقوقس طواه في عناية وتوقير، ووضعه في حق من عاج، ودفعه إلىٰ إحدىٰ جواريه لتحفظه.

ثم التفت إلىٰ حاطب يسأله أن يحدثه عن النبي ﷺ وأن يصفه له، فلما فعل، فكر المقوقس مليًا، ثم قال لحاطب: قد كنت أعلم أن نبيًا قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وهناك كان مخرج الأنبياء، فأراه قد خرج من أرض العرب، ولكن القبط لا تطاوعني؛ وضنَّ بملكه أن يفارقه، ثم دعا بكاتبه فأملىٰ عليه رده وفيه:

أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيًا قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم، وكسوة، ومطية لتركبها، والسلام عليك.

ثم دفع هذا الكتاب إلىٰ حاطب، واعتذر إليه بما يعلم من تمسك القبط بدينهم، وأوصاه بأن يكتم ما دار بينهما، فلا يسمع القبط منه حرفًا واحدًا.

وانطلق حاطب عائدًا إلىٰ النبي ومعه مارية وأختها سيرين، وعبد خصي، وألف مثقال ذهبًا، وعشرون ثوبًا لينًا من نسيج مصر، وبغلة شهباء «**دلدل**» وجانب من عسل بنها، وبعض العود والند والمسك.

وفي الطريق إلىٰ المدينة عرض حاطب علىٰ مارية وأختها الإسلام بعد أن حدثهما عنه طويلاً، وأهلما من نفسه مثلاً للمسلم الكريم الحليم الودود الرشيد، الذي يصون الحرمات، ويغضّ بصره عن المحرمات، ويحفظ الأمانة ويصون الأعراض.

والمرأة لا يخفىٰ عليها أطباع الرجالوأوصاف الرجولة فيهم؛ فعرفته رجلاً قد زانه طبعه وتطبعه بالإسلام؛ فشعرت هي وأختها أنهما قادمتان إلىٰ أرض طيبة، وإلىٰ أهل بيت طيب، يزينه صاحبه بخلق فاضل وكمال وافر؛ فاطمأنت هي وأختها لهذا المستقبل الذي ينتظرهما بالمدينة المنورة، واشتاقت كل منهما إلىٰ العيش الهنيء الخالي من ذل العبودية، وإلىٰ الحياة الهانئة الوديعة البعيدة عن صخب القصور وظلم الحكام وأتباعهم.

وأخذ حاطب بن أبي بلتعة يعلمهما أحكام الطهارة والصلاة وغيرها مما ينبغىٰ علىٰ من أسلم أن يتعلمه؛ حتىٰ انتهىٰ بهما إلىٰ المدينة فدخلها في سنة سبع من الهجرة، وقد عاد النبي ﷺ من الحديبية بعد أن عقد الهدنة مع قريش؛ فسلّم إليه حاطب الأمانة؛ فتقبلها بقبول حسن، لكن ساءه أن المقوقس لم يسلم؛ فسلّم أمره إلىٰ الله تعالىٰ، ووكله إلىٰ قدره، وما عليه إلا البلاغ.

فأمسك مارية لنفسه، ووهب أختها لحسان بن ثابت.

وأنزل مارية منزلًا لحارثة بن النعمان الأنصاري قرب المسجد، وضرب عليها الحجاب كأمهات المؤمنين.

وبدأت مارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تمارس حياتها الجديدة مع خير خلق الله ﷺ وفي صحبة أمهات المؤمنين، وفي وسط هذا المجتمع المسلم التقي النقي المتآخي، القائم في جميع شئونه علىٰ العدل والفضل والتعاون البنّاء علىٰ البر والتقوىٰ؛ فسعدت بهذه الحياة أيما سعادة؛ وأدركت الفرق الشاسع بين هذا المجتمع والمجتمع الذي كانت تعيش فيه من قبل.

إنها كانت تحيا حياة بلا دين وبلا هدف، كانت مجرد جارية تعيش في قصر يعج بالجواري، ليس لها وضع تعتز به، ولا عمل تستريح له، ولا مكان تستقر فيه علىٰ النحو الذي ترضاه.

كانت تعيش في نظام يقوم علىٰ التحكم والتسلط والغطرسة، فجاءت إلىٰ بيت كريم وسط قوم كرام في كنف نبي مرسل، وفي ظل دين قيم؛ يسوي بين الناس جميعًا، ويعطي كل ذي حق حقه، في جو يسوده الحب والوفاء، وفي بيت بسيط يخلو من المظاهر الخداعة التي لا تستقر علىٰ حال.

لقد كانت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تتلقىٰ العلم من رسول الله ﷺ تزداد به فضلاً ونبلاً، وتصحح به ما كانت قد عرفته من الكتب الدينية التي ألّفها أحبار اليهود وعلماء بني إسرائيل؛ فقد كانت في شك من بعض ما جاء فيها؛ لعدم مطابقتها للعقل والواقع.

وكان النبي ﷺ لا يضنّ عليها بشيء سألته عنه، أو استفته في حكمه.

وقد أعانها عقلها الرشيد وذكاؤها الفذ علىٰ تحصيل ما قد سمعت، وإدراك ما قد رأت؛ حتىٰ غبطتها نساء الأنصار.

أما أزواج النبي ﷺ فكنّ لها كالأخوات لا كالضرائر؛ لأنها ليست مثلهن في الزوجية؛ فهي سرية يتمتع بها الرسول ﷺ بملك اليمين، ولم يكن يغرن منها كغيرة بعضهن من بعض؛ فوقاها الله شرّ ما تلقاه الضرة من ضرتها، وكانت بذلك أسعد.

وقد عرفت مارية رضي الله عنها أن لها شبهًا بهاجر من وجوه كثيرة.

فهاجر مصرية وهي مصرية، وكل منهما أهديت لنبي عظيم مرسل، وكل منهما ذات جمال بارع، وعقل راجح، وخلق فاضل، ولكن كان لهاجر غلام حليم اسمه إسماعيل، سعدت به وأسعدت به زوجها الذي بلغ الكبر، فهل يرزقها الله غلامًا حليمًا مثلما رزق هاجر؛ لتسعد به زوجها الذي بلغ الستين من عمره.

إنها أمنية غالية سألت ربها أن يحققها لها ففعل؛ فحملت به فانتبذت به مكانًا قصيًا وهو مكان أقصى المدينة.

وسرعان ما سرت البشرى في أنحاء المدينة؛ فتلقاها المسلمون بالبهجة والسرور.

وأخذ النبي ﷺ يرعاها رعاية خاصة، وأختها تقضي لها حوائجها وتسهر على خدمتها؛ حتى وضعته في ليلة من ليالي شهر ذي الحجة سنة ثمانٍ من الهجرة، وقد سمَّاه الرسول ﷺ إبراهيم؛ تيمنًا بجد الأنبياء عليه السلام.

وتنافست نساء الأنصار على إرضاعه؛ فاختار له النبي ﷺ مرضعًا تكنى بأم سيف، وراح يرقب نموّه يومًا بعد يوم، ويجد فيه أنسه ومسرته، ويودّ لو شاركته دنياه كلها في هذا الأنس.

وحمله يومًا بين ذراعيه إلى عائشة؛ فكادت تبكي حين رأته من شدة غيرتها؛ لأنها كانت تودّ أن يكون له منها ولد، ولكنها تماسكت وكفكفت من دموعها، ورضيت بقضاء الله وقدره، وهي التي كانت تقول: لله درّ التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء!!

والغيرة جبلّة في الإنسان ذكرًا كان أو أنثى، وغيرة الأنثى في مثل هذه الأحوال أشد، لكن المؤمن لا يسمح لغيرته أن تجاوز حدّها، فهي -رضي الله عنها- قد غارت من مارية حين حباها الله ولدًا، فما لبثت أن ملكتها؛ إيمانًا واحتسابًا وحرصًا على إرضاء النبي ﷺ، وتقديرًا لمشاعره الجياشة لهذا الولد الذي جاءه بعد طول انتظار.

وحكت عائشة عن نفسها ما وقع في قلبها من الغيرة حين ملك النبي ﷺ مارية قالت: «**ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية؛ وذلك أنها كانت جميلة**

جعدة؛ فأعجب بها رسول الله ﷺ، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت حارثة بن النعمان الأنصاري؛ فكانت جارتنا؛ فكان عامة الليل والنهار عندها، فجزعت فحولها إلىٰ العالي، وكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا».

وزادت في رواية: «**ثم رزقها الله الولد وحرمناه منه**».

وسعد الأبوان بهذا الغلام الميمون ردَحًا من الزمن لم يطل، وتلك مشيئة الله عزوجل؛ فقد مرض الغلام بعد سبعة عشر شهرًا من ولادته، واشتدّ مرضه؛ فالتفت حوله أمه وأختها تمرضانه وأنفاسه تنقطع، فجاء رسول الله ﷺ وهو يجود بأنفاسه؛ فنظر إليه نظرة الوداع وعيناه تذرفان؛ فتعجب عبد الرحمن بن عوف من بكائه، فقال: أأنت تبكي يا رسول الله؟! أي: كيف بنا نحن؛ فقال «**يا عبد الرحمن، إنها رحمة**».

فلما مات الغلام بكىٰ أشد من بكائه الأول، وقال: «**إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون**».

وقد كانت وفاته في العاشر من شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة علىٰ الراجح، وانحنىٰ النبي ﷺ علىٰ جثمان ولده يقبله، وهو يقول: «**يا إبراهيم، لو لا أنه أمر حق، ووعد صدق، وأن آخرنا سيلحق بأولنا لحزنّا عليك حزنًا هو أشد من هذا، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون**».

وأقبل الفضل بن العباس رضي الله عنه؛ فغسَّل الصغير الميت، والرسول ﷺ جالس يرنو إليه في حزن.

وحمل من بيت ظئره علىٰ سرير صغير، وصلىٰ عليه أبوه عليه الصلاة والسلام وكبّر أربعًا، ثم سار وراءه إلىٰ البقيع، وأضجعه بيده في قبره، ثم سوّىٰ عليه التراب ونداه بالماء.

وآب المشيعون واجمين، وقد غام الأفق وانكسفت الشمس، فقال قائلون: «إنها انكسفت لموت إبراهيم».

وبلغت الكلمة مسمع النبي ﷺ فصلىٰ بالناس صلاة الكسوف، وخطبهم، فقال: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا، وصلوا وتصدقوا**»(1).

---

(1) البخاري في صحيحه (997)، باب الصدقة في الكسوف، ومسلم (901)، باب صلاة الكسوف، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وتجمّل النبي ﷺ بالصبر والجلد، وعزّىٰ نفسه عنه بانتظار ساعة اللقاء وهو يشعر أنها قد اقتربت أو حان أوانها.

وأما مارية فقد اعتكفت في بيتها تطوي حزنها في قلبها، وتتحلىٰ بالصبر والجلد؛ أسوة بزوجها الحبيب، ولم تخرج من بيتها إلا لزيارة وليدها في قبره.

وكان النبي ﷺ يتردد عليها كثيرًا ويواسيها، ويذكرها بأن وليدها في الجنة.

روىٰ مسلم في صحيحه أنه ﷺ قال لما توفي إبراهيم: «**إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة**».

أي: مات وهو في ثدي مرضعته لم يكتمل رضاعه، فكأني بي أراه في الجنة ترضعه مرضعتان من الحور العين؛ إتمامًا للعامين اللذين جعلهما الله حدًا لإتمام الرضاع.

فآمنْ بما قاله الرسول ﷺ، ولا تسأل لماذا وكيف؛ فذلك علمه عند الله، وهو من الغيب الذي يجب علينا الإيمان به دون أن نسأل عن كيفيته وحكمته وما إلىٰ ذلك مما يحلو للعقل أن يقحم نفسه فيه.

وظل النبي ﷺ يذكر إبراهيم الفينة بعد الفينة؛ حتىٰ لقي ربه عزوجل بعد عام من وفاته؛ فقد مات إبراهيم في اليوم العاشر من ربيع الأول سنة عشر من الهجرة - كما ذكرنا - ومات النبي ﷺ في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة.

وترك وراءه مارية تعاني ما تعاني من الوحدة والعزلة حتىٰ لقيت ربها بعده بخمس سنين.

ولما ماتت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا جمع لها عمر بن الخطاب من المسلمين جموعًا كثيرة للصلاة عليها وتشييع جنازتها، وقد صلىٰ عليها ودفنها بالبقيع.

وهكذا تطوىٰ صفحة مارية المصرية علىٰ ذكريات طيبة، وعاها التاريخ وسجلها في سجل الخالدين؛ فهي امرأة مصرية، ذكية النفس، سليمة القلب، رقيقة المشاعر، لينة الجانب، تألف الناس ويألفونها، شأنها في ذلك شأن أهل مصر الكرام.

كان إيمانها بالله فطرة تخلو من الشبهات، وكانت أخلاقها سجية فيها، زادها الإسلام جلالًا وجمالًا؛ فهىٰ جميلة المظهر والمخبر، لم يثبت عنها أنها أساءت لأحد عرفها وعرفته.

وحسبها شرفًا أنها كانت في كنف رسول الله ﷺ، تمتعت بقربه وحبه، وانضمت لحرمه، وكانت أمًّا لولده، أعطته من حبها مثل ما أعطاها، ووفت بعهدها معه كأعظم ما يكون الوفاء، فلم يجد منها إلا ما يسرّه.

بل إنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قد كانت مثلاً صادقًا لأهل مصر في حلمهم وكرمهم، ونبل أخلاقهم وحسن معاشرتهم؛ فلقد أحبهم الرسول ﷺ لحب جده إبراهيم لهم؛ إذ كانت هاجر منهم، وأحبها لأنها أختها في الإسلام، وأختها في الوطن.

ولهذا أوصىٰ النبي ﷺ بأهل مصر خيرًا حين بشّرهم بفتحها.

روىٰ مسلم في صحيحه في كتاب «**الفضائل**» عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم ستفتحون مصر - وهي أرض يسمىٰ فيها القيراط - فإذا فتحتموها فأحسنوا إلىٰ أهلها؛ فإن لهم ذمة ورحمًا**». أو قال: «**ذمة وصهرًا، فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها في موضع لبنة، فاخرج منها قال: فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة، فخرجت منها**»(1).

والمراد بالذمة: الحق والحرمة، والرحم: هو الصلة القريبة من جهة الأم أو من جهة الأب أيضًا، والصهر: القرابة من جهة الأم، والنسب: القرابة من جهة الأب.

والنسب: من جهة هاجر أم إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، جد العرب العدنانية.

والصهر: من جهة مارية القبطية أم إبراهيم بن محمد عليه الصلاة والسلام.

وقد وعىٰ المسلمون هذا الدرس، وحفظوا هذه الوصية وسجلوها في كتبهم وسجلاتهم التاريخية.

ولما فتحت مصر سنة عشرين في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر عمرو بن العاص هذه الوصية بنصها في مفاوضات الصلح بينه وبين مندوبي المقوقس والي مصر من قبل الروم، فقال فيما قال: «لقد أعلمنا نبينا ﷺ أنا مفتتحوكم، وأوصانا بكم؛ حفظًا لرحمنا فيكم، وإن لكم إن أجبتمونا ذمة إلىٰ ذمة.

ومما عهد إلينا أمير المؤمنين: استوصوا بالقبطيين خيرًا؛ فإن رسول الله ﷺ أوصانا بالقبطيين خيرًا؛ لأن لهم رحمًا وصهرًا.

(1) رواه مسلم في صحيحه (2543)، باب وصية النبي ﷺ، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

ويقال: إن عبادة بن الصامت الأنصارىٰ ﵁- وكان ممن شهد فتح مصر - قد بحث عن بلدة حفن من كورة أنصنا، ثم سأل عن موضع مارية فيها؛ فبنىٰ به مسجدًا.

وقد وضع معاوية بن أبي سفيان ﵁ الجزية عن أهلها؛ إكرامًا لإبراهيم بن رسول الله ﷺ من مارية لما كلمه الحسن بن علي ﵄ فيهم.

رضىٰ الله عن مارية بنت شمعون وأختها سيرين، وعلىٰ كل من كان علىٰ الهدىٰ من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وسلام علىٰ عباده الذين اصطفىٰ والحمدلله رب العالمين.

خواطر وعبر:

1- يتضح من قصة مارية ﵂ لين قلوب المصريين، وسرعة استجابتهم لداعي الإيمان.

2- وأما من لم يسلم بعد الفتح من الأقباط فقد ظلت علاقته بالمسلمين علاقة طيبة، فالتآلف بين المصريين جميعًا له جذور تاريخية عميقة بسبب طبيعة اللين والمودة ونبذ العنف عند المصريين.

3- رعاية النبي ﷺ لمارية وإكرامه لها إكرامًا لأهل مصر جميعهم.

4- تظهر شخصية المرأة المصرية الأصيلة في أمّنا مارية ﵂، حيث إنها كانت إلفًا ألوف، تكيفت مع جو المدينة وتآلفت مع أهلها، وسار بينها وبين أهلها روح الإخاء والعشرة.

5- كما أن المرأة المصرية تتميز بقوة الحنان والعاطفة الفياضة علىٰ الأبناء، وكذلك الصبر والجلَد عند فقد أي منهم.

6- وجه التشابه الكبير بين هاجر المصرية ومارية القبطية يوحي بوحدة الأمة وارتباطها جيلاً بعد جيل، وإن اختلفت البقاع فالدين هو الرباط المتين الذي يربط الأجيال ويربط الأمصار علىٰ السواء.

* * *

المراجع

1 – أزواج الأنبياء محمد راجي حسن كناس

2 – القرآن الكريم كتاب الله عز وجل

3 – السيرة النبوية الصلابي

4 – الصفوة في خيار النسوة خالد عبد العليم

5 – تفسير القرآن العظيم ابن كثير

6 – تاريخ الطبري الإمام ابن جرير الطبري

7 – صحابيات حول الرسول محمود المصري

8 – في ظلال القرآن سيد قطب

9 – فاطمة بنت رسول الله ﷺ د/ عبد العزيز عبد الفتاح

10 – مؤمنات لهن عند الله شأن د/ محمد بكر اسماعيل

11 – نساء في عصر النبوة أحمد خليل جمعة

12 – نساء خالدات في القرآن الكريم أحمد جمال عبد العال

13 – نساء النبي ﷺ د/ عائشة عبد الرحمن

* * *

الفهرس

* * *